التبشير الألماني للحرب المقدسة

المُستشرقون والدراسات الشرقية التطبيقية

بقلم: أ.م.د. غوتفريد هاغن(*)
ترجمة: بثينة هاشم ياسين(**)

١. بعد أسبوعين من دخول الإمبراطورية العثمانية في الحرب العالمية الأولى، بوصفها حليف[١] لألمانيا، وفي الرابع عشر من تشرين الأول سنة ١٩١٤م، شَهِدتْ القسطنطينية سلسلةً من الأحداث العامة الجديرة بالملاحظة. حيث تجمَّعتْ الحشود أمام السفارة الألمانية في (بيرا) Pera قادمين من جامع مُحَمَّد الفاتح، حيث تمَّت هناك قراءة فتوى تضمَّنت أنَّ المشاركة في الحرب المقدسة (الجهاد)[٢] ضدَّ إنكلترا أو فرنسا أو بريطانيا واجبٌ إلزامي على المسلمين جميعاً. تمَّ إلقاء العديد من الخطب تلاها مسيرة على ظهر الخيول جابتْ شوارع العاصمة بِزَعم التشبُّه بزمن الرسول مُحَمَّد، وتضمَّنت المسيرة امرأتين تمثلان زوجة النَّبي (عائشة) وخادمتها. تمَّت تحية الحشود في وزارة الحرب والمجلس الأعظم للحكَّام[٣]. كما تمَّ استقبال المسيرة من قِبل عددٍ من أعضاء لجنة الاتحاد والترقِّي[١]، مع عضو من السفارة نفسها يتحدث التركية، وعضو آخر من المغرب بزيٍّ فرنسي يتحدث العربية، والذي ألقى خطاباً موجزاً أثنى فيه على ألمانيا التي كانت سبباً في تحررهِ، مستنكراً الطريقة التي تتم بها معاملة الجنود المسلمين في الجيش الفرنسي[٤]. حيَّت الحشود قيصر ألمانيا بوصفهِ حليفاً للإسلام، ثمَّ تحركت صوب السفارة النمساوية لتتلقَّى استقبالاً مماثلاً قبل أنْ تتفرَّق (ليس قبل نهب بعض المحال والمنازل العائدة لمسيحيين)[٥].

لاحظ بعض المراقبين المعاصرين الإعلان الرسمي لدخول العالم الإسلامي بأكملهِ الحرب بالتحالف مع قوى مسيحية ألمانية ونمساوية وهنغارية، بل وبطلبٍ منها بفضول وارتباك وشيء من التسلية، وقد ألقى هذا الوصف للأحداث المذكورة آنفاً الضوء على هذهِ المُدركات. وقد أورد تقرير أميركي إشاعاتٍ مفادها أنَّ المرأتين اللتان

(*) جامعة ميشيغان / قسم دراسات الشرق الأوسط – الدراسات التركية.
(**) بيت الحكمة / قسم الدراسات التاريخية.

شاركتا في المسيرة بوصفهما عائشة وخادمتها كانتا تبيعان الذرة المحمَّصة على الجسر في جزيرة القرن الذهبي[٢]، حيث رفضت النساء الأكثر احتراماً المشاركة[٦]. كما ذكر شاهد ألماني من المشكِّكين: "في شُرفة السفارة، كان هناك رجلاً مغربياً، تمَّ أسرهُ في الجبهة الغربية، يُخاطب الحشود. أعتقد أنَّ هذهِ الحشود بالكادِ قد استوعبت ما كان يَرطن بهِ"[٧]، فيما ذكرت تقارير أخرى أنَّ الرجلَ المغربي قد جِيء بهِ مع عددٍ من رفاقهِ إلى إسطنبول متنكِّرين بزيِّ عاملين في سيركٍ متنقل[٨]. على أيةِ حال، اتفق المراقبون جميعهم على أمرٍ واحد: إنَّ ألمانيا كانت مسؤولة سياسياً على تجسيد هذا العرض، ويُقال إنَّ المراقبين الأتراك كانوا يسخرون من (الحرب المقدسة للفرنجة)[٩].

في ظلِّ هذهِ الجهود الألمانية لنشر الحرب المقدسة، كان هناك مشاركة بارزة للطلبة المسلمين، عرباً وأتراكاً ومستشرقين. في هذهِ المقالة، أرغب في مناقشة الخلفية السياسية والمشاكل الفكرية لهذهِ المشاركة.

يبدو هذا الأمر للوهلةِ الأولى قضية تقليدية بمفهوم إدوارد سعيد كما في عرض المواد الدستورية الثلاث: التقليد الأكاديمي للدراسة والتعليم، والتمييز الوجودي والمعرفي بين الشرق – ومعظم الأحيان – الغرب، والأسلوب الغربي في الهيمنة على الشرق وإعادة بناءه والتسلُّط عليه[١٠]. لكن هذهِ المقالة سوف تؤدي إلى تعقيد مفهوم (سعيد) للاستشراق من نواحٍ عدَّة.

أوضح جورج شتاينميتس George Steinmetz أنَّ خطابات المُستعمرات الألمانية كانت بعيدةً كلَّ البُعد عن كونها موحَّدة. كانت تختلف من مستعمرةٍ لأخرى، بل وحتَّى ضمن إدارة المستعمرة الواحدة[١١]. سوف تكشف الدراسة الحالية أموراً عِدَّة يشوبها الغموض حول خدمة المستشرقين للإمبراطورية الألمانية والطموحات العسكرية. من جانبٍ آخر، هدفتْ دراسات استشراقية، ركَّزت على مواقف استعمارية أقل غموضاً في الشرق الأوسط العربي والهند، إلى تجاهل موقف الإمبراطورية العثمانية بخصوص القوى الاستعمارية والشرق الأوسط العربي.

كما أوضح أسامة مقدسي[٣] Ussama Makdisi في كتابهِ (الاستشراق العثماني) أنَّ الإمبراطورية العثمانية اتخذت موقفاً مماثلاً لموقف الاستشراق الأوربي تجاه بعض شعوبها، خاصةً في المقاطعات العربية.

في حين أظهر كلٌّ من محمد تافاغولي – تارغاي Mohammed Tavakoli-Targhi ، وسلمى ديرنغل Selma Deringle، أنَّ العثمانيين والإيرانيين لم يكونوا شخصياتٍ مجهولة في التمثيل الغربي، بل أدَّيا دوراً فعَّالاً من خلال تفاعلهما مع أوروبا[١٢].

القضية التي نحن بصددها الآن تُظهر تماماً أنَّ الاستشراق مع (سعيد) يجب أنْ لا يُفسَّر بوصفهِ خطاب أوربي مستقل، بل يشترك فيه مختصو الفكر والسياسة، ليس في ألمانيا فحسب بل وفي الإمبراطورية العثمانية ودول إسلامية أخرى، وهذهِ القضية تُعيد تشكيل الاستشراق ليتضمَّن ممارسة سياسية أكثر من كونها مجرد نصوص.

في هذا المقال، أنا مهتم بدور المُستشرقين بمعناه الصحيح، أي الأكاديميون الذين دَرسوا الإسلام والشرق الأوسط، وكونهم كتبوا للجمهور المحلي

وشاركوا في الممارسة السياسية. هذهِ الممارسة التي تتطلَّب منهم استخدام خبراتهم في التواصل المباشر مع (عينات الدراسة)، أي الأشخاص في الشرق الأوسط.

سوف أقوم بدراسةٍ استقصائية لتطور الدراسات الاستشراقية باللغة الألمانية، ثمَّ أضع وصفاً للتطورات السياسية التي أدت إلى إعلان الجهاد. النقطة التي أردتُ إثارتها هنا هي أنَّ مشروع الجهاد لم ينشأ عن المُستشرقين الأكاديميين، ولم يكونوا من المساندين له سواءٌ بكتاباتهم الأكاديمية أو تصريحاتهم العلنية على الرغم من الروابط (الوشائج) الفكرية الوثيقة بين الأكاديمية والدبلوماسية التي تقود البلد. مع ذلك، حال إعلان المشروع، أصبح العديد من الأكاديميين شركاء في هذا المشروع حتَّى لو كانت هذهِ الشراكة على حساب وجهات النظر الأكاديمية.

علاوةٌ على ذلك، في مناقشة الجهود الدعائية حول هذا الإعلان، سوف أركِّز على الجانب التواصلي الذي يَظهر في النصوص المُخرَجة نفسها. كما ناقشتُ فشل المُستشرقين في العثور على لُغةٍ تعبيرية (مُجدية) للتواصل من خلالها مع جماهيرهم الإسلامية على الرغم من خبرتهم اللغوية؛ وذلك بسبب الخطاب التاريخي والعِرقي المتوارث الذي منعهم من إيجاد مستوىً مناسب من التفاعل.

أخيراً، تناولتُ تداعيات الحرب المقدسة برعاية ألمانيا على الصورة الذاتية لهذا المجال، وحاولت هذهِ المقالة توضيح المناظرة التي تلت تناول هذهِ التداعيات.

من الجدير بالملاحظة أنَّ الحرب الألمانية المقدسة "كانت بمبادرةٍ من الرايخ الألماني بوصفهِ كياناً سياسياً، ولم يكن للنمسا أيَّ دورٍ فيها"[١٣]. امتد المجتمع الأكاديمي المعني أو المتأثر بهذهِ الحرب إلى ما وراء الحدود السياسية ليضمَّ علماء من النمسا، هنغاريا، وهولندا. وتعود نشأة هذهِ الشبكة من العلماء إلى ما قبل توحيد ألمانيا حيث كان تجانسها يستند إلى اللغة الرئيسة لأعضائها وهي الألمانية، إضافةً إلى منهجها العلمي.

٢. ما هي أصول الدراسات الأكاديمية حول الإسلام في البلدان الناطقة باللغة الألمانية، وكيف ارتبط الخطاب الأكاديمي بالمصالح السياسية؟

بإيحاءٍ من المُبشِّر المعروف رايموندوز لولوس Raimundus Lullus قرَّر مجلس مدينة فيينا في عام ١٣١١م، وجوب تعليم اليونانية والعِبرية والعربية والاوزبكية (أي الآرامية) في خمس جامعات. وقد وضع هذا القرار الأساس لدراسة اللغة العربية في أوروبا بوصفها لغةً لاهوتية Ancilla Theologiae لاستخدامها في المناظرات الدفاعية[١٤]. وعلى الرغم من التحول في وجهات النظر من الدفاعية إلى الفلسفية والمقارِنة للغة المخطوطات، واصلت المصالح اللاهوتية جهودها لإيجاد موطئ قدم لها في مرحلة التنوير[١٥]، لتشهد هذهِ الفترة ظهور أوائل المُستعربين الألمان البارزين، مثل يوهان جاكوب رايسكه Johann Jacob Reiske (١٧١٣-١٧٤٧م)[١٦].

هناك مجموعات من المخطوطات في المناطق الألمانية هي في الأصل غنائم الحروب التركية في القرن السادس عشر امتداداً إلى القرن الثامن عشر، ولكن كان هناك توسع في الطَّلب لنصوصٍ معينة بهدف تسهيل الدراسات الاستشراقية[١٧]. هذهِ المجموعات من المخطوطات إضافةً إلى ظهور

علم فقه اللغة المقارن واللسانيات، أرست علم فقه اللغة العربية على قواعد راسخة.

يمكن اعتبار سلفستر دي ساسي Silvister de Sacy (١٧٥٨-١٨٣٨م) في باريس الأب الروحي لِعلم فقه اللغة العربية في أوروبا. نشر هاينريش ليبرخت فليتشر Heinrich Leberecht Fleischer (١٨٠١-١٨٨٨م) في لايبزغ مناهج دي ساسي في البلدان الناطقة باللغة الألمانية، بوصفهِ معلِّماً لجيلٍ كامل من العلماء، ومن المؤسِّسين للجمعية الشرقية الألمانية[٤] Deutsche Morgenländische Gesellschaft (سنة ١٨٤٥م)، نظيرةً للجمعية الملكية الآسيوية Deutsche Morgenlandische Gesellschaft.

وفيما كان (فليتشر) نفسه مختصاً بِعلم فقه اللغة ومهتماً باللغة والنصوص فقط، بدأ بعض طلَّابه وبإلهام من الفيلسوف الألماني رانكه Ranke والنَّزعة التاريخية historicism، بدراسة الدين الإسلامي والفقه والمُجتمع بحركاتهم التاريخية. وفي سبيل ذكر مجموعة من الأمثلة البارزة من هذهِ الدراسات، هناك تنقيح المنهج والمهارات اللغوية البارعة (النظرية منها خاصةً)، التي اتَّسمت بها كتابات ثيودور نولدكه Theodor Noldeke حول تاريخ القرآن، ودراسة يوليوس فلهاوزن Julius Wellhausen حول مخلَّفات العصر الجاهلي عند العرب، ودراسة إغناتس غولدزيهر Ignaz Goldziher حول تاريخ تفسير القرآن[١٨].

كان الاستناد إلى النصوص الكلاسيكية والاهتمام بالأصول، والفقدان شبه التام للاهتمام بالعالم الإسلامي الحديث، معالم نموذجية لهذهِ الأجيال، حيث كان علم اللاهوت، والدراسات العِبرية المُتأخرة، وعلم فقه اللغة الكلاسيكي، إلى جانب المنطق التاريخي والعقلانية الراسخة، تتحدث جميعها عن علميتهم.

وبسبب تجذُّر أفكار همبولدتاين[٥] Humbodtian حول بلدنغ[٦] Bildung، لَم تهتم الدراسات الشرقية بإمكانية التطبيق العملي للمعرفة المُستحصلة.

تمَّ توضيح وجهة النظر هذهِ من خلال المهمة على أُلقيت على عاتق الأكاديمية الناطقة باللغة الألمانية في دراسة الإمبراطورية العثمانية والتركية، حيث واجهت الإمبراطورية الألمانية القديمة التهديد التركي منذ القرن الخامس عشر.

تزايدت التقارير لأسرى سابقين ورحَّالة حول العثمانيين بصورةٍ كبيرة، وكان الألمان يطالعونها بشغف. بدأت العلاقات الدبلوماسية في القرن السادس عشر، وفي الوقت ذاتهِ بدأت في ألمانيا ترجمة وطبع الأحداث التاريخية لتركيا[١٩]. وفي نهاية القرن الثامن عشر كانت هناك عناوين أدبية عُدَّت بالمئات تتحدث عن الإمبراطورية العثمانية[٢٠]. ومن أجل إرضاء العلاقات الدبلوماسية مع العثمانيين، أسَّس آل هابسبيرغ[٧] مدرسةً خاصة لتدريب المترجمين Konsularakademie في فيينا سنة ١٧٥٤م، على غِرار النموذج البولندي والفرنسي[٢١]. وفيما وضع المُستعربون قواعد صارمة لاستخدامها في علم فقه اللغة كان الأتراك من الأوائل في كُتب المحادثة التي تستهدف الرحَّالة لأغراضٍ سياسية وتجارية[٢٢].

كان الإنجاز الأكثر إبهاراً للدراسات التركية

المبكِّرة هو القاموس الذي وضعه فرانز ميسنن مينسكي Franz Mesgnien Meninski (وهو مترجم في القسم النمساوي)، والذي صدر سنة ١٦٧٠م[٢٣]. وباستثناء فيينا، أصبحت تركيا في وقتٍ ما من القرن الثامن عشر جزء أساسي من المناهج الجامعية.

وممَّا لا شكَّ فيه إنَّ صاحب المُساهمة الأكبر في التعريف بالعالم التركي كان جوزيف فون هامر – بورغشتال Joseph von Hammer-Purgstall (١٧٧٤-١٨٥٦م)، الذي لَمَ يَكُن يحمل أيَّ درجةٍ أكاديمية، فقد تدرَّب في Konsularlkade، ثمَّ عَمِل مُترجماً في إسطنبول، وقضى السنوات التالية في فيينا حيث كان تعيينهُ مترجماً للبلاط فرصةً ليقضي مزيداً من الوقت في دراساتهِ[٢٤].

اكتسب علماء اللغة العربية والإسلام بعض المعرفة باللغة التركية، حيث كان رجال مثل (فليتشر) ينشرون بين فترةٍ وأخرى أعمال ثانوية حول النصوص العثمانية، لكن بشكلٍ عام، تُعتبر الثقافة التركية أقل شأناً من الثقافة الفارسية، وأقل بالتأكيد من الثقافة العربية، وأقل استحقاقاً من الاهتمام العلمي[٢٥]. على الرغم من الاحتياجات الفعلية القابلة للنقاش فإنَّ الدراسات التركية بنهج أكاديمي لَمَ تظهر إلَّا عندما مُنح آرمن فامبيري Armin Vambery منصب محاضر للغة التركية في بيست Pest سنة ١٨٦٥م[٢٦].

تحدى فامبيري، الذي اكتسب سمعته من كونهِ رحَّالاً متنكراً بزيِّ درويش في آسيا الوسطى، المهنة الكلاسيكية كمُستشرق، ويبدو أنَّ فقدان التفاهم بينه وبين تلميذهِ المُستعرب غولدزيهر Goldziher كان نموذجياً بسبب مكانتهِ في هذا المجال[٢٧].

سعى فامبيري إلى تعويضاتٍ (كانت في أغلب الأحيان غير مرغوبٍ فيها) من خلال نصيحةٍ قدمها للحكومة البريطانية حول آسيا الوسطى، مُستفيداً من خبرتهِ هناك ومن علاقاتهِ الممتازة مع أعلى المستويات في إسطنبول، جاعلاً منها مهنة موازية لأعمالهِ الأخرى[٢٨].

تطورت الدراسات التركية في ألمانيا فيما بعد بوضعها على أُسسٍ صلبة، وذلك حيث تحول المُستعرب جورج يعقوب George Jacob في مدينة (كييل) إلى التركية بعد مكوثهِ في القسطنطينية سنة ١٨٩٥م[٢٩].

٣. في هذهِ الأثناء، بدأت خصائص الدراسات الاستشراقية في ألمانيا بالتغير في سياق التطورات السياسية الجديدة. بعد تأسيس الإمبراطورية الثانية، كانت ألمانيا قويةً بما فيه الكافية لتنتهج لنفسها إستراتيجية عالمية طموحة على خُطى السياسات الفارسية في شرق آسيا وأفريقيا والمحيط الأطلسي.

ومن تداعيات الاتحاد سنة ١٨٧١م، بدأ الضغط باتجاه سياسة استعمارية صريحة؛ ولهذا الغرض أنشأت عدد من الشركات الخاصة العاملة في المشاريع الاستعمارية في أفريقيا وجنوب شرق آسيا مجتمع المُستعمرات الألمانية سنة ١٨٨٢م، وخلال فترة قصيرة نسبياً من عامي (١٨٨٤-١٨٨٥م)، احتلت ألمانيا مقاطعاتٍ عدَّة في أفريقيا وشرق آسيا والمحيط الأطلسي، كما وأسَّست قانون استعماري.

كانت مصالح ألمانيا يشوبها غموض أكبر في الشرق الأوسط، وكان الحكم الاستعماري المباشر مكرَّس لأصوات الأقلية، لكن هذا الحكم لم يلقَ تشجيعاً من الدبلوماسية. ومنذ تأسس الكونغرس في برلين، كانت ألمانيا مهتمةً بشكلٍ رئيسي بالحفاظ على العلاقات مع الإمبراطورية العثمانية بالرغم من الطموح باتجاه قوى عظمى أخرى، لكن هذا الموقف لَم يكن موقفاً مستقراً.

من جهةٍ كانت ألمانيا تميل إلى مَنح الأولوية لعلاقاتها مع قوى عظمى أخرى، وبالتالي كانت هناك مساومات على حساب العلاقة مع تركيا. ومن جهةٍ أخرى كانت راغبةً في المشاركة في دراسة الإمبراطورية العثمانية دراسةً تفصيلية لتحصل على حصةٍ مقبولة فيها.

أصبح الموقف مُعقداً بعد تزايد الأعمال الاقتصادية والعسكرية في المنطقة، ففي عام ١٨٨٢م، تمَّ إرسال أول مهمة عسكرية خطيرة إلى إسطنبول على مضض بطلبٍ من السلطان عبد الحميد الثاني. كان الهدف الرئيسي لهذهِ المهمة إحداث فضيحة في إسطنبول وقلق دبلوماسي في باريس ولندن وبطرسبورغ، أكثر من كونها زيادة الكفاءة العسكرية في البسفور. مع ذلك، كان من المناسب جداً أنَّ ألمانيا لم تتخلَّ عن هذهِ المهمة حتَّى بعد الهزيمة النكراء لدول البلقان، بدلاً من ذلك تمَّ رفع مستوى المهمة بشكلٍ بارز[٣٠].

كانت الاستثمارات الألمانية في تركيا في ارتفاع بعد الطفرة المؤثرة سنة ١٨٨٨م، عندما حصل اتحاد يقوده البنك الألماني على عقدٍ لإنشاء الجزء الأول من مشروع سكك حديد بين الساحل الآسيوي في البسفور والخليج الفارسي[٣١]. علاوةً على ذلك، تقيَّدت السياسة الخارجية الألمانية بجديةٍ بالادعاءات المتزايدة بأنَّها لم تحافظ على مصالحها السياسية في الشرق الأوسط[٣٢].

إنَّ افتقاد السياسة الألمانية مع تركيا للتماسك، إضافةً إلى التذبذب في وجهات النظر والموقف الشعبي، أوضحته بشكلٍ جيد الزيارة الشهيرة للقيصر إلى الأراضي المقدسة، كانت صورةً فائقة الروعة من العلاقات العامة من خلال عرض القوة والعظمة والإخلاص في خدمة المصالح السياسية والاقتصادية، وإذا وضعنا جانباً الأصوات التي تنظر إلى علاقات ألمانيا مع القوى العظمى الأخرى بصرامة، نجد هناك العديد من المواقف المتضاربة تجاه العثمانيين تمَّ التعبير عنها في الصحافة الألمانية، ونجد الذين ما زالوا يتذكرون المذابح ضدَّ الأرمن سنة ١٨٩٥م، يقاومون فكرة أنْ تُكرَّم الإمبراطورية الرومانية السلطة المسؤولة عن هذهِ المذابح[٣٣].

وفي موقفٍ مشابه، كان بول روروباخ Paul Rohrbach، أحد أكثر أعضاء الضغط تأثيراً على الاقتصاد الألماني في الإمبراطورية العثمانية، يرى أنَّ فكرة زيارة إمبراطور ألمانيا إلى حريم السلطان وبالتالي إضفاء الشرعية عليها، أمراً غير مناسب[٣٤]. المسيحي الليبرالي فريدريش نومان Friedrich Naumann، برغم تعاطفهِ مع الأرمن إلَّا أنَّه ساند زيارة القيصر؛ لأنَّه رأى أنَّ الإمبراطورية العثمانية ضرورة سياسية[٣٥].

المتحمسون للشأن التركي Turcophile (وبالكاد من المطَّلعين عليها بشكلٍ جيد) أمثال هانس بارت Hans، رفض التقارير التي تتحدث عن مذابح الأرمن على أنَّها مجرد دعاية، وهنَّأ

الأتراك بتعبيرٍ بسماركي (نسبةً إلى القائد العسكري بسمارك)، بقولهِ إنَّ الأتراك "هم النبلاء الوحيدون في الشرق"[٣٦].

بينما أعلن إرنست جيغ Ernest Jackh، وهو صحفي أصبح فيما بعد أستاذاً للتاريخ التركي في برلين، أنَّ الهدف من سياسة ألمانيا تجاه الإمبراطورية العثمانية هي التركنة Turkification وليس الألمنةGermanization [٣٧]، فيما أعلنت صحيفة ألمانية عن هدفٍ مختلف لسياسات ألمانية في الشرق: "الرجل المريض سوف يتعافى بشكلٍ جيد جداً، حتَّى أنَّه عندما يستيقظ من نومهِ سوف لن يتعرف عليه أحد. سيظن أحدهم أنَّه ذا شعرٍ أشقر وعينين زرقاوين ويبدو ألمانياً تماماً. عندما احتضنَّاه بحُب زَرعنا فيه الجوهر الألماني، حتَّى أنَّه سيكون من الصعب تمييزه عن الألمان"[٣٨]. من الواضح عدم وجود موقف موحَّد تجاه الشرق، بدل من ذلك كانت هناك أصوات متنافرة تمثِّل مصالح مختلفة ذات تنسيقٍ ضعيف، وغالباً ذات معرفةٍ بسيطة بالأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، وهذا ما اتصفت بهِ السياسات الألمانية تجاه الشرق خلال الحكم المتأخر لويليام الثاني.

بدأت شبكات التواصل المؤثرة والتي تستهدف الشرق الأوسط بتنظيم عملها عندما أصبح الاتفاق الاقتصادي سارياً بشكلٍ جيد، حيث استقدمت كلٌّ من شركة Deutsches Vorderasien-Komitte (تأسَّست سنة ١٩٠٨م)، وشركة الحاسوب الأكثر نجاحاً Deutsch-Turkische Vereinging (التي تأسَّست سنة ١٩١٤م بمساعدة وزارة الخارجية)، الصحفيين والشركات الصناعية والمالية المهتمة بالشرق الأوسط[٣٩].

أدى الطلَّاب الألمان الدارسين للإسلام والشرق الأوسط دوراً ثانوياً في المناظرات حول ألمانيا والشرق الأوسط، فيما هيمَن الصحفيون وعلماء السياسة والجغرافيون على هذهِ المناظرات. مع ذلك، كانت الدراسات الاستشراقية تواكب متطلَّبات ذلك الوقت بشكلٍ متزايد.

في عام ١٨٨٧م، تأسَّس معهد اللغات الشرقية Seminary For Oriental Language في برلين لتعليم الطلَّاب جميع الاختصاصات بلغات الشرق الأوسط، وموضوعاتٍ مثل القانون والتجارة والجغرافية والتاريخ والثقافة (التاريخ الإقليمي) landeskunde[٤٠]. وأخيراً، كان هناك معهد مُكرَّس علانيةً لزجِّ الطَّلبة المتدربين بشكلٍ مباشر إلى الشرق في حقولٍ عملية كالتجارة والدبلوماسية.

من بين الأساتذة المتميزين في هذا المعهد، مارتن هارتمان Martin Hartman (١٨٥١-١٩١٨م)، الذي كان لخبرتهِ بالعالم الإسلامي من أفريقيا إلى تركمانستان الصينية، وتفانيهِ وإخلاصهِ للإسلام المعاصر وأسلوبهِ العنيد، قد جعلت منه شخصية مُستقلة في الدراسات الاستشراقية الألمانية. يرى (هارتمان) أنَّ الشريعة قيود تُعيق التقدم في العالم الإسلامي[٤١]، وكان يتعاطف بقوة مع القومية العربية، وزاد تعاطفه مع العثمانيين بعد ثورة الشباب التركي سنة ١٩٠٨م[٤٢]. وكان جورج كامبف - ماير George kampff-meyer أستاذاً يهتم بشكلٍ خاص بالإسلام المعاصر، ومن المؤسِّسين لمعهد المغاربة الألمان (برلين وطنجة) (١٨٧٣-١٩١٨م)، وكان عضواً فاعلاً في التبادل السياسي - الثقافي مع العالم الإسلامي[٤٣].

كانت العلاقة التبادلية مع الشرقيين في اهتماماتهم السياسية صفةً بارزة عند كلٍّ من هارتمان وكامبف – مايـر، في حين كان زملائهما يعتبرونها صفة غير مناسبة[٤٤].

تميز معظم كادر SOS، ومن ضمنهم مديرها إدوارد ساخاو Edward Sachau بالبحوث المهتمة بالفترات المبكِّرة؛ لذلك تجذَّرت لديهم تقاليد علم فقه اللغة الألماني[٤٥]. والأمر ذاته يصح مع يوجين ميتووج Eugen Mittwoch الذي درَّس اللغتين العربية والأثيوبية في SOS، وخلف (ساخاو) ليصبح مديراً بعد الحرب[٤٦].

من خريجي SOS المهمين في هذهِ المقالة، كارل إيميل شابينغر فون شوانغين Karl Emil Schabinger von Schowingen الصحفي والدبلوماسي والمُحب للاستشراق[٤٧]. ظهرت بعد ذلك مؤسَّسات أكاديمية عدَّة، عكست التداخل المُتنامي لألمانيا بالشرق الحديث.

في هامبورغ، تأسَّس المعهد الاستعماري الألماني Deutsches Kolonial-Institut سنة ١٩٠٨م، الذي لم يختلف عن SOS في كونهِ ليس جزءاً من جامعة، وأصبح كارل هاينريش بيكر Carl Henerich Becher (١٨٧٦-١٩٣٣م) أول مدير له[٤٨]. وعلى الرغم من كتابة (بيكر) عن (هارتمان) بكلِّ احترام، إلَّا أنَّ ذلك لَم يلغِ الاختلافات السياسية بينهما[٤٩]. يَعتبر (بيكر) نفسه جزء من التقاليد الألمانية في علم فقه اللغة، واصفاً فلهاوزن Wellhoausen، وغولدزيهر Goldziher، ونولدكه Noldeke، وهورغرونيه Hurgronje، وسنوك Snouck، بأنَّهم أساتذته.

على أيَّةِ حال، كانت نظرته التاريخية مختلفة كونه كان يسعى لوضع الإسلام بموقع حضارةٍ ضمن عمليةٍ تاريخية كونية. وكان يُفسِّر المسيحية والإسلام على أنَّهما نِتاج الهيلينية[٨]، واستنكر ما لمسه من الإسلام من رفضٍ متزايد للعالم وتحصن بصورة التصوف. من وجهة نظر (بيكر)، فإنَّ عناصر حضارات الشرق الأدنى القديمة في خلفياتها المدنية كانت أقوى تأثيراً بكثير في تشكيل الحضارة الإسلامية من الثقافة العربية[٥٠]. كرَّس (بيكر)، بعد عام ١٩٠٨م، أغلب أعماله للإسلام في صحارى أفريقيا، وللإسلام في الإمبراطورية العثمانية، وللسياسيات الاستعمارية المتعلِّقة بالإسلام. وكما سنرى، إنَّ هارتمان وشابنغر وميتوج وكامبمفمبر وبيكر قد أدوا دوراً في تشكيل حدَث الحرب الألمانية المقدسة.

معرفياً، كانت المؤسَّسات الجديدة تُشير إلى بداية التحول في علم فقه اللغة إلى علم الإنسان والعلوم السياسية والقانون بوصفها حقول تفاعل محتملة مع الإسلام المعاصر. بمعنى آخر، على الرغم من عدم وضوح التخطيط بدأت الأكاديميات تنفتح على موضوعات الدراسات الإسلامية مع إدراكٍ واضح لإمكانية التطبيق العملي لتلك الدراسات، انعكس هذا التحول في مظهر المنتديات العامة[٥١].

في عام ١٩١٠م، في المعهد الاستعماري Kolonial-Institut، تمَّ إصدار مجلَّة جديدة تُدعى (الإسلام) Der Islam، وتُعتبر الإصدار الأول المنافس للإصدار القديم من مجلَّة الجمعية الشرقية الألمانية Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaf. وفي عام ١٩١٢م وباقتراح

مـن مارتن هارتمـان، ظهرت جمعية جديـدة تُدعى الجمعية الألمانية للدراسات الإسلامية Dutsche Gesellschaft Fur Islamkunde، والتـي بـدأت فـوراً بإصـدار صحيفـة مؤثـرة تتعامل مع العالم الإسـلامي المعـاصر، تُدعى (عالم الإسـلام) Welt des Islams[٥٢]، وعـلى خلاف المنظَّمات التي ذُكرت آنفاً، كانـت هذهِ المنظَّمة تضم مجموعة متنوعة من المُستشرقين البارزين، حيث إنَّ اهتمامها بالعـالم الإسـلامي المعـاصر كان أساسـاً اهتمامـاً أكاديمياً[٥٣].

٤. تزامـن الاهتـمام الألمـاني بالبُعـد العمـلي للاسـتشراق مع توسـع البُعد السـياسي للإسـلام وهو الوحدة الإسلامية[٥٤].

تـمَّ توظيـف المحـاولات التـي سـادت العـالم الإسلامي لاستحضار تماسـك المسلمين بوصفهم قـوة سياسـية بشـكلٍ بـارع مـن قبـل العثمانيـين، وبشكلٍ خاص من قبل عبد الحميد الثاني؛ لتحشيد الشـخصيات الإسلامية في الوطن والفوز بعاصمةٍ رمزية من خلال اعتراف المسلمين في أماكن أخرى مـن العالم بهـذهِ العاصمة. كان محور الإسـتراتيجية العثمانيـة هـو تجديد موضـوع الخلافـة بوصفها في الواقع القيادة الروحية للمسلمين جميعاً، والتي هي أقرب إلى البابوية الإسلامية[٥٥].

كانت القوى الاسـتعمارية مـع أعدادٍ كبيرة من الشـعوب الإسـلامية مهتمـةً بشـكلٍ كبـير بظهور الإسـلام السـياسي، وزاد الأمـر حين بـدأت ألمانيا بالتمسك بهِ بوصفهِ سلاح سياسي.

تـمَّ اعتبـار الخطـاب المشـهور لفيلهيلـم الثاني الـذي ألقاه في دمشـق عـام ١٨٩٨م، والذي أعلن فيـه أنَّه صديـقٌ دائـم لثلاثمائة مليون مسـلم حول العـالم، بمثابة تشـجيع للوحدة الإسـلامية وتهديد لبريطانيـا بشـكلٍ خـاص، حيث كانـت العلاقات معها متوترة بشكلٍ متزايد[٥٦].

أيَّـد الصحفـي فريدريك نومـان Friedrich Naumann: "يمكـن أنْ تندلـع الحرب العالمية قبل تفـكُّك الإمبراطورية العثمانية، حينها سـيرفع الخليفة في إسـطنبول مسـتوى الحرب المقدسـة مرةً أخرى. وسـينهض الرجل المريـض للمرة الأخيرة صارخـاً لمـصر والسـودان وشرق أفريقيـا ودولـة فـارس وأفغانسـتان و الهنـد (إنَّهـا الحـرب ضـدَّ إنكلترا). ومن المهم معرفة مَن سيسـندهُ في فراشـهِ حين ينطق بهذهِ الصرخة"[٥٧].

مـن جهـةٍ أخـرى، لم يكـن المُسـتشرقون الأكاديميـون الألمـان مهتمـين بالعـزف عـلى وتـر الوحـدة الإسـلامية. رأى هارتمـان، الـذي لم يكن متعاطفـاً مع الإسـلام السـياسي على أيَّةِ حـال، إنَّ المسـتقبل في القوميـة العربية، على الأقـل حتَّى عام ١٩١٤م[٥٨].

نفـى (بيكـر) مخـاوف المبشِّريـن مـن انتشـار الإسلام في المستعمرات الألمانية في أفريقيا، موضحاً الأمر بأنَّ (الأسـلمة) في الواقع لا محالة منها، وأنَّها سوف تُيسِّر الحكم الاستعماري[٥٩]. وبالاستناد إلى الفكرة التاريخية عن الخلافة بوصفها هيئة سياسية، فقد حذَّر من أنَّ الخليفة هو القائد الديني الأعلى في المستعمرات الألمانية كما في البوسنة[٦٠].

يبدو أنَّ رؤية فيلهيلـم الثاني وفردريك نيومان التي مزجت بقوة بين التضامن الإسـلامي الفطري والتعصـب المتَّقـد مع أجواء السريـة و التآمر الذي أظهره الاسـتشراق الغـربي الشـعبي، كان يجب أنْ تصل إلى النهاية عندما فقد السلطان عبد الحميد، و

هو البطل الموثوق بهِ فيما يتعلَّق بالوحدة الإسلامية، القوة أمام الشباب التركي العلماني في معظمهِ سنة ١٩٠٨م. بدلاً عن ذلك، استمر الشباب التركي بانتهاج سياسات الوحدة الإسلامية عملياً و مجازياً، و من ضمن هذهِ السياسات إعلان الجهاد في حرب طرابلس ضدَّ إيطاليا عام ١٩١١م.

استندت إعادة تشكيل الخلافة إلى استيعاب أفكار الاستشراق الغربي، ومن ثمَّ (الاستشراق العثماني)[٦١]. يوضح العزف المتعمَّد على وتر الإسلام من قبل نظام عثماني علماني، أنَّ ثنائية (سعيد) الثابتة حول أوروبا مقابل الشرق كانت بحاجةٍ إلى إعادة نظر لمصلحة نظام متعدد الأقطاب يتم فيه تبادل الأدوار باستمرار[٦٢].

٥. انتعشت فكرة الحرب المقدسة بإيحاءٍ من ألمانيا، بوصفها سلاح قوي أمام القوى الاستعمارية بعد نشوب الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م. لم تكن القوة المحركة خلف الفكرة أكاديمية استشراقية بل كانت قوة دبلوماسية لعالم آثار محنَّك وعالم بالأعراق البشرية ضليع بالقانون واللغات الشرقية، يُدعى ماكس فرايهير فون أوبنهايم[٩] Max Freiherr von Oppenheim.

في عام ١٨٩٦م، بدأت وزارة الخارجية الألمانية تشعر بالقلق المتزايد إزاء انتشار الإسلام في أفريقيا، وقررت على إثرها أنَّها لكي تراقب التطورات في العالم الإسلامي بشكلٍ مستقل عن الاستخبارات البريطانية، يجب أنْ تضع رجالها في المنطقة؛ لذلك عيَّنت الشاب (أوبنهايم) في القاهرة، حيث أسَّس الأخير علاقاتٍ وثيقة مع المثقفين والشخصيات المحلية البارزة، وحوَّل التهديد الإسلامي للمُستعمرات الألمانية إلى هدفٍ واسع النطاق، لاستخدام الوحدة الإسلامية والجهاد كسلاحٍ ضدَّ إنكلترا بصورةٍ رئيسة، وفرنسا وروسيا بشكلٍ ثانوي[٦٣].

رفع أوبنهايم تقريراً مباشراً بذلك إلى فيلهيلم، حيث راجع الإمبراطور الفكرة مراراً وتكراراً خلال السنوات التي تلتها[٦٤]. كان هدفه الأصلي في وضع الإسلام تحت السيطرة قد حلَّ محلَّهُ اللعب على وتر الإسلام. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى، عاد (أوبنهايم) إلى وزارة الخارجية بعد أنْ قضى فترةً في متابعة علم الآثار، وهنا وجد (أوبنهايم) الفرصة مواتيةً للضغط لتحقيق فكرته القديمة. وكان واثقاً من أنَّ الجانب التركي وبسبب حاجتهِ المُلحَّة لاستخدام أيَّة وسيلة يطالها، سيكون مستعداً للتعاون. مرةً أخرى، تداخلت خططه مع تعصب فيلهيلم الثاني الذي عبَّر خلال أزمة تموز ١٩١٤م عن أملهِ بـ: "إحراق جميع المسلمين في حربٍ ضروس"[٦٥].

كتب (أوبنهايم) مذكَّراتٍ عدَّة تتعلَّق بإجراءاتٍ يجب اتخاذها تجاه الإسلام والعثمانيين، واحدة من أهمِّ هذهِ المذكَّرات، والمؤرَّخة في تشرين الأول ١٩٤٩م، (إشعال ثورة في ممتلكات العدو) Die Revolutionierung der Islamischen Gebiete Unserer Feinde، والتي تطرح مجموعةً كبيرةً من الأفكار عن كيفية استخدام إعلان الجهاد من قبل السلطان العثماني ضدَّ القوى الاستعمارية، بوصفهِ وكيل خليفة المسلمين. تضمَّنت هذهِ الأفكار خططاً لتنسيق الجهود لنشر الشائعات من قِبل السلطات العثمانية والمختصون الألمان حول أعمال المليشيات التركية والألمانية، والتي تتضمَّن نشاطاتٍ سرية مثل تحريض الثوار والإرهابيين، وممَّا زاد في تشجيع

هذهِ السياسة بعد إعلان الجهاد في تركيا في تشرين الثاني عام ١٩١٤م، هو دعوى مجتهدي الشيعة في النجف وكربلاء العالم الشيعي إلى الجهاد[٦٧].

كشفت مذكّرة (أوبنهايم) عن مجموعةٍ من الأفكار وثيقة الارتباط تتعلّق بالإسلام والعالم الإسلامي. وعلى الرغم من تباين هذهِ الأفكار عن أفكار الإمبراطور، إلّا أنّها كشفت عن أنماطٍ مهمة ومتعصِّبة تمَّ وضعها ضمن السياق العِرقي المعاصر.

كان على ألمانيا أنْ تحافظ على تحكُّمٍ شديد بكلِّ الفعاليات، باذلةً في سبيل ذلك أقصى حدود وسائلها المادية والعسكرية وتفوقها الثقافي ضمنياً. حيث كانت ترى في (العقلية الشرقية) تهديداً لهذا المشروع في ظلِّ ازدراء (أوبنهايم) للقدرات المؤسَّساتية التركية، الذي لم يكن يختلف في ذلك عن (هارتمان)، فقد أوضح مراراً أنَّ شروط محددة يجب توافرها لجعل الناس في مناطق معينة تمتثل للتمرد. عموماً، سادت فكرة أنَّ في حال توافر هذهِ الشروط فإنَّ ألمانيا ستكون قادرةً على كبح جماح هذهِ القوى أو إطلاق العنان لها[٦٨].

عكسَ تقييم (أوبنهايم) للمجموعات العِرقية والاجتماعية المختلفة أنماط عِرقية سائدة آنذاك في الشرق الأوسط، فقد كان يعتقد أنَّ سكَّان المدن كانوا ضعفاء غير ملتزمين أخلاقياً، بينما كان يعوِّل على الروح الثورية لسكَّان البدو. وفيما يتعلَّق بأفارقة الصحراء الجنوبية كان (أوبنهايم) عنصرياً، كما لم يكن محبذاً للمسيحيين الشرقيين "كان السكَّان الآخرين، من أمريكيين وجورجيين مسيحيين يستحقون السمعة التي يتمتعون بها في الشرق عن كونهم جبناء، وعظمتهم تكمن في قدراتهم على التخطيط للمؤامرات".

كان (أوبنهايم) يرى أنَّ المسيحيين الشرقيين، والذين كان معظمهم يعمل في السكك الحديدية الفرنسية، أفراداً فاسدين ويمثلون خطراً محتملاً على الحكم التركي كونهم يفضلون الحكم الفرنسي أو البريطاني: "سوف يكون بإمكانهم التسبُّب بحوادث السكك الحديد، وإغلاق الطرق، واقتراف جميع أشكال الخيانة. على أيَّة حال، هذهِ الحفنة من الجبناء لن تكون قادرةً على أنْ تثور ضدَّ تركيا".

كانت هذهِ الأنماط من الأفكار مشابهةً بصورةٍ أكثر أو أقل لتلك التي وُجدت في أدب الرحلات الأقدم حول الشرق الأوسط، ولم يكن مفاجئاً أنْ تكون هذهِ الأفكار استجابةً لِما ورد في روايات المغامرات الشعبية لكارل مي Karl May، التي كانت تحمل عنوان Orientzyklus[٧٠].

كان المفهوم الكلاسيكي القانوني للخليفة على أنَّه السلطة السياسية على جميع المسلمين، راسخاً في ذهن (أوبنهايم)، وهو ما يقف خلف إصراره على إعلان السلطان للجهاد، حيث كان يُشير إلى السلطان على أنَّه (الخليفة السلطان).

كان (أوبنهايم) يميل إلى السخرية والتهكُّم من مظاهر أخرى في الإسلام كما في التعاليم الصوفية، حيث كان يرى إنَّها مرتبطة بالجماهير غير المتعلِّمة. من جهةٍ أخرى، كان أقل ارتياباً من زملاءهِ فيما يتعلَّق بالوحدة الإسلامية، تقوده في ذلك على الأغلب مصالح مهنية وافتقاد للاستشراف التاريخي مقارنةً بـ(بيكر)[٧١].

٦. تمَّ تأسيس مكتب غير رسمي تحت رعاية

وزارة الخارجية الألمانية، باسم مكتب استخبارات الشرق Nachrichtenstelle Fur den Orient NFO، بمبادرةٍ فورية من (أوبنهايم). ترأس أوبنهايم هذا المكتب بنفسهِ، وكانت مهمة المكتب تنسيق الجهود الدعائية والعمليات المتعلِّقة بالعالم الإسلامي سواءٌ مع الأصدقاء منه أو الأعداء على حدٍّ سواء. وعلى الرغم من أنَّ جميع عمليات هذا المكتب كانت ذات طابع عسكري إلَّا أنَّ جميع موظَّفيه كانوا من المدنيين.

ترأس (أوبنهايم) مكتب استخبارات الشرق، مكتب (انفو)، حتَّى آذار عام ١٩١٥م، ليتبعه شابنغر فون شوينغن Shabingere von Schowingen، ثمَّ يوجين ميتووج Eugen Mittwoch في شباط عام ١٩١٦م[٧٣]. كان (شابنغر) هو الموجِّه لخطاب الرجل المغربي من على شرفة السفارة الألمانية في إسطنبول، وشكَّل هذا المشهد العمل الأول الذي أثار انتباه عدد كبير من الشعب، وعزَّز الآمال بالمزيد من الأعمال ذات التأثير الأكبر[٧٤].

ضمَّ مكتب (انفو) كادراً دائمياً قليل العدد نوعاً ما، وكان خليط عشوائي من الصحفيين والأكاديميين والدبلوماسيين، وجنَّد للمشاريع الفردية أشخاصاً إضافيين من المتعاونين، إضافةً إلى متطوعين للعمل المجاني كلَّما وجد ذلك مناسباً، ولم يكن للمكتب قانون يُنظِّم عمله[٧٥].

ضمَّ كادر المكتب إلى جانب أوبنهايم وشابنغر فون شوينغن وميتووج، عالم الشؤون الهندية هيلموت فون غلاسناب Helmuth von Glasenapp، والمتخصِّص باللغات الإيرانية والكردية أوسكار مان Oskar Mann، بوصفهم مستشرقين أكاديميين.

كانت معرفة اللغات الشرقية تُعد استعراباً بالنسبة لمترجمين أمثال الدكتور بروبستير .Dr Probster، وشرودر Schroder، والدكتور بوكا Dr. Buka. انضم مستشرقون آخرون على مختلف الدرجات العلمية وعلى فتراتٍ مختلفة إلى المكتب، منهم مارتن هارتمان Martin Hartmann، والمختصين بالشؤون الإسلامية رودولف تشودي Rudolf Tschudi، وجورج كامبفيمير George Kampffmeyer ، والمتخصِّص في علم اللهجات هانز ستوم Hans Stumme، وغوتهارد جاشك Jaschke[٧٦]. إضافةً لذلك، وظَّف المكتب ما يُقارب (٢٠) عاملاً أجنبياً[٧٧]. من ضمن العديد من المسلمين الذين تعاونوا مع المكتب والذين تلقَّوا اهتماماً في صناعة الأدب، تمَّ تجنيد العديد منهم من قبل السلطات التركية وتعاونوا مع أنور باشا[١٠] Enver Pasha في التشكيلات الخاصة[١١] Teshkilat-I Makbsusa للخدمة السرية سيئة السمعة.

وينطبق هذا الكلام على كلٍّ من: صالح الشريف التونسي، وعلي باشا حمبا من تونس، وعبد العزيز جاويش من مصر، فيما كان الدرزي شكيب أرسلان عضواً في البرلمان التركي. من بين هؤلاء، كان صالح الشريف هو الوحيد الذي عَمِل بصورةٍ مباشرة مع مكتب (انفو)، حيث كان كاتباً دعائياً غزير الإنتاج، فيما احتفظ الآخرون باتصالٍ وثيق مع المكتب في الوقت الذي كانوا يتابعون تنفيذ خططهم الخاصة أو خطط أنور باشا. كان المسلم الوحيد الذي تعاون مع مكتب (انفو) ولا يمت للأتراك بصلة هو رباح بوكابويا Rabah

Boukabouya، وهـو ضابـط فرنسي من أصل جزائـري حيث تحـول إلى الجانب الآخر في نيسـان عـام ١٩١٥م. عـلى أيَّـة حـال، جميـع العاملين مع مكتب (انفو) كانوا يخضعون لرقابةٍ صارمة.

على الرغم من تنوع نشاطات المطاردة الدعائية لهذهِ المؤسَّسـة والتي تضمَّنت جهـوداً حثيثة للتأثير عـلى الشـعب الألمـاني، إلَّا أني سـوف أركِّـز عـلى النشـاطات التي خاطبت المسـلمين، طالمـا أنَّ هذهِ المقالة تهتم بتواصل الدعاية الألمانية مع المسـلمين، وخاصةً عن طريق المُستشرقين.

اسـتهدف مكتب (انفو) ثـلاث مجاميع شرقية، هي:

– الجنود المسلمون، وبشكلٍ خاص الفرنسيون منهـم مـن جنـوب وشـمال الصحـراء الأفريقيـة، والهنود، والروس من آسـيا الوسـطى، سواءٌ كانوا جنوداً في جبهات القتال أو أسرى حرب.

– شعوب الإمبراطورية العثمانية.

– الشـعوب المسـلمة في المسـتعمرات التابعـة لخصوم ألمانيا.

تراوحـت نوايـا مكتـب (انفـو) في اسـتهداف هـذهِ الفئـات الثـلاث بين تجنيـد مقاتلـين محتملين في الحـرب المقدسـة والتحريـض عـلى التمـرد على الأعداء، إلى خلق جوٍّ عام من التعاطف مع القضية الألمانية في الحرب.

مع مرور الوقت، يمكننا القول هنا إنَّ الطموح أصبـح أكثر واقعيـةً، وأنَّ التركيز تحـول باتجاه النيَّة الأخـيرة، وكانت الوسـائل التـي تـمَّ تطبيقها لهذا الأمر متشعِّبة.

نسَّق مكتب (انفو) العديد من الجهود لإرسال مهـام سرية إلى العديـد من الدول الإسـلامية؛ من أجـل التحريـض عـلى الثـورات، أو إثـارة أعـمال الشـغب، أو حمايـة الحلفـاء، أو عـلى الأقـل حمايـة الحيادية النفعية مع الحكَّام المسلمين.

كان العديـد مـن هذهِ المهـام مذهـلاً، إلى الحدِّ الـذي ألهـم جـون بوشـان John Buchan لكتابـة روايتـهِ الأكثـر شـعبيةً (الـرداء الأخـضر) Greenmantle، والروايـة الرائـدة لــ(تي. ي. لورنـس) T. E. Lawrence المعنونـة بـ(أعمـدة الحكمـة السـبعة) Seven Pillers of Wisdom، فيما فشلت مهام أخرى بشكلٍ محرج، لكن بالكاد كان لأيٍّ منها أيَّ تأثيرٍ عسكري[٧٨].

كان على مكتب (انفو) أنْ يعمل جنباً إلى جنب مـع الجيـش ووزارة الخارجيـة في تحقيـق أهدافهِ في الوصـول إلى أسرى الحـرب، وكان هـذا الجزء من نشاط المكتب هو الأفضل من حيث التوثيق.

تكبَّد المكتب عناءً كبيراً من أجل أنْ يتم معاملة هـؤلاء الأسرى بصـورةٍ جيـدة، وأنْ يتـم فصلهم عـن الأسرى الآخرين، وإعـادة دمجهم في اثنين من المعسـكرات الخاصـة. يقـع أحد هذهِ المعسـكرات في (وينسـدورف)، فيـما يقع الآخر في (زوسـين)، ليس ببعيدٍ عن برلين. أُطلق على أحدهما (معسـكر الهلال)، والذي يبدو على هيئة جامعٍ صغير، أصبح المعسـكران رمزيـن لرغبة ألمانيـا في صياغة اندماج المسلمين ضمن الأسرى[٧٩].

أصبحت هذهِ المعسكرات شبيهةً بمُستعمراتٍ مصغَّـرة بعـد تحويلهـا إلى مؤسَّسـاتٍ لتدريـس السجناء ودراسـتهم، حيث تمَّ تطبيق نوع محدَّد ممَّا يُسمَّى بـ(السياسة المحلية)[٨٠]. كان هؤلاء الرجال

مصدر اهتمام لمكتب (انفو) طالما كانوا يُصنَّفون على أنَّهم مسلمين، وكانت المعاملة الخاصة التي يتلقوها تدعم هذا المنظور، حيث كان المبتغى من هذا الاهتمام هو زيادة رغبة السجناء بالتعاون مع السلطات الألمانية والتركية[٨١]، إضافةً إلى إظهار هذا الاهتمام أمام الشرق الأوسط وكأنَّه رمز للصداقة الألمانية – الإسلامية والتي تعود افتراضاً إلى عام ١٨٩٨م في دمشق. وكانت عملية تشرين الثاني لعام ١٩١٤م المرة الأولى التي يتم فيها استغلال هذهِ الصداقة بشكلٍ ملموس. نتج عن التداخل المثير للفضول بين الدراسة الأكاديمية والجهود الحربية لمكتب (انفو) عن استخدام سجناء الحرب كمُخبرين أو مادة للدراسات الأكاديمية[٨٢].

أثنى العالِم في علم الأعراق، ليو فروبينيوس Leo Frobenius، على هذهِ المعسكرات بوصفها طريقةً ناجحة للوصول إلى (المعدن الإنساني)، وذلك بعد فشلهِ في مهمتهِ كداعيةٍ للجهاد في أفريقيا[٨٣].

دَرَس البعض علم الأجناس العِرقية للأسرى الهنود[٨٤]، فيما جمع مستشرقون آخرون معلوماتٍ لغوية انثروبولوجية من المعسكر، أو أنَّهم ببساطة كانوا يستغلون أوقاتهم في المعسكر لأداء مهام أكاديمية أخرى[٨٥].

تمَّ استخدام صور ذات طابعٍ عِرقي للأسرى في ألمانيا؛ من أجل دعايةٍ واسعة ذات طابعٍ عنصري ضدَّ الحكومات التي تستخدم هؤلاء الرجال كجنود[٨٦].

خلال السنتين الأولى من الحرب كان مكتب (انفو) ووزارة الخارجية الألمانية تميلان إلى رفض مثل هذهِ الأعمال العِرقية مع الأسرى، مخافة أنْ تُظهرها الدعاية الفرنسية على أنَّها عنصرية، لكن هذهِ المقاومة توقفت على نطاقٍ واسع بمرور الوقت[٨٧].

لم يكن معظم العمل الصحفي ونشر الكتابات الدعائية في الشرق الأوسط بتوجيه من مكتب (انفو)، بل كان المكتب هو المنفِّذ لتلك النشاطات، ففي إسطنبول أصدر مكتب (انفو) بالتنسيق مع وزارتي الخارجية والصناعة الألمانية صحيفة Der Osmanische Lloyd، وكانت إلى حدٍّ ما لسان حال الحكومة الألمانية، إضافةً إلى ذلك تمَّ نشر المقالات في الصحف الإسطنبولية المتعاطفة مع القضية الألمانية، مثل صحيفتي: al-Adl & Jihan-I Islam[٨٨].

كما انشأ مكتب (انفو) غرف القراءة Nachricgtensale، وتعني بالعربية (مبيعات الأخبار)، عِبرَ جميع أنحاء الإمبراطورية، ادَّعى (أوبنهايم) أنَّ هناك ما يُقارب (٧٥) من هذهِ الغرف حيث يمكن للسكَّان المحليين دراسة التقارير الحديثة حول الحرب والحصول على خلفيةٍ معلوماتية حول ألمانيا و مجهودها الحربي. كانت العملية التنسيقية لشبكة العمل هذهِ تُدار من قبل مركز تابع لمكتب (انفو) في إسطنبول، تأسَّس عام ١٩١٥م، يترأسه (أوبنهايم).

في الوقت ذاتهِ أطلق المكتب الرئيسي في برلين أعداد غير محدودة من الكُتيبات والكرَّاسات ليتم توزيعها في شمال أفريقيا ومصر والإمبراطورية العثمانية (ومن ضمنها غرف القراءة)، وحيثما كان يتم نشر الجنود المسلمين في جبهات القتال، كما تمَّ توزيع إصداراتٍ دعائية بستِّ لغاتٍ مختلفة

للأسرى في معسكر الهلال، ومن ضمنها صحيفة تصدر كلَّ أسبوعين تحمل عنوان al-Jihad[٨٩].

٧. على الرغم من وضوح أهداف الدعاية الألمانية والجماعات المُستهدفة منها، فقد اتضح صعوبة عملية إنتاج هذهِ الدعاية.

في مناقشتي لهذهِ الصعوبات لستُ أنوي وضع شرح جديد عن سبب فشل الجهاد الألماني. بدلاً عن ذلك أريد تحليل الجهود الدعائية كونها أمر ملموس بهيئة موادٍ مطبوعة، وبوصفها مهمة تواصلية بالنسبة للمُستشرق الذي يُفترض أنْ يكون خبيراً ليس باللغة فحسب بل وبالثقافة أيضاً، وأنْ يكون مطَّلع على الدين الإسلامي، وبالتالي يكون قادر على التواصل مع الآخر الشرقي حول ما يجب أنْ يعتبره الجزء الأكثر أهميةً في حياة هذا الآخر وهو دينه. تصدى الخبراء وغير الخبراء في مكتب (انفو) لمهمة كيفية إقناع المسلمين بحمل السلاح (في الجبهات الشرقية والغربية) والوقوف إلى جانب ألمانيا وتركيا ضدَّ التحالف الثلاثي.

منحت نتاجات مكتب (انفو) المتوفرة إضافةً إلى المناظرات الداخلية حول الإستراتيجيات الدعائية فكرةً جيدة عن كيفية تعامل المكتب مع هذا الأمر[٩٠]. ممَّا يؤسف له عدم إمكانية نسب النصوص المتوافرة إلى فردٍ معين من المكتب؛ لذلك يجب مناقشتها كمجموعة وليست أفراداً ذوي خلفياتٍ متنوعة.

تتناول المناظرة الرئيسة الفقه الإسلامي، حيث كانت الفتاوى التي أصدرها شيخ الإسلام والتي شكَّلت الإعلان الرسمي للحرب المقدسة التعبير الأوضح عن هذهِ المناظرة.

تـمَّ توزيع هـذهِ الفتاوى مع خطاب أنور باشا من قبل لجنة الدفاع الوطني في الدولة العثمانية. كان مكتب (انفو) ينوي استخدام تلك الفتاوى خاصةً على الجبهة الغربية[٩١]. ولستُ أعلم فتاوى شيعية أوسع انتشاراً من فتاوى شيخ الإسلام، حتَّى تلك التي صدرت بعدها بوقتٍ قصير[٩٢].

مع ذلك، فالمناظرات القانونية تكون عرضةً لمواجهة مناظراتٍ مضادة تستند إلى الخلفيات ذاتها. وعلى هذا النحو حرصت السلطات الاستعمارية الفرنسية والإيطالية على الحصول على فتاوى مشابهة من الخبراء القانونيين (الفقهاء) المحليين، تُعلن أنَّ طاعة القوى الاستعمارية أمرٌ قانوني ومُلزم لجميع المسلمين ضمن سلطتهم القضائية. ولعدم وجود تسلسل هرمي فقهي موحَّد في الإسلام كانت هذهِ الفتاوى هي العلاج المناسب[٩٣].

في الإعلان الفقهي للجهاد، تمَّت تسمية الخليفة (قائد المؤمنين)، وبالتالي قائد المجتمع الإسلامي: حيث تمَّ توصيف الأمر على أنَّ الخليفة قد تعرَّض لهجوم التحالف الثلاثي، وأنَّ المسلمين مدعوون للدفاع عنه وعن المجتمع. على أيَّةِ حال، فإذا كانت شرعية الخليفة مثيرةً للجدل، بالتالي فإنَّ دعوته للجهاد ستكون باطلة. وكانت دعوة الشريف حسين في مكَّة لتنصيب نفسه كوريث شرعي للخلافة بدلاً من السلطان العثماني الذي يفتقد الانتساب إلى قبيلة النَّبي مُحمَّد، انقضاض شرعي آخر على مشروع الجهاد مدعوماً من البريطانيين[٩٤].

عمل مكتب (انفو) بجهدٍ كبير للدفاع عن الشرعية العثمانية. وفي الوقت الذي أراد فيه (شابنغر) تجنب المُحاججات القانونية؛ لأنَّه يرى

أنَّها مشكلة إسلامية داخلية، وجد نفسه مجبراً على الاستجابة لبيانات الحلفاء[٩٥].

كانت المُحاججات القانونية لوحدها كافية لتوضيح الآراء الشائعة حول الإسلام، كما في سبيل المثال آراء فيلهيم الثاني ووزارة الحرب[٩٦]، حيث كانت الصورة الجوهرية للمُسلمين تراهم على أنَّهم أُناس تُسيِّرهم معايير النصوص المقدسة[٩٧]. وعليه، أصبح الإرشاد باتجاه الإسلام النصي (أي الذي يتبع ما تأتي بهِ النصوص) جزء من التعليمات التي أخذ المسلمون المتعاونون مع مكتب (انفو) على عاتقهم تلقينها لأسرى الحرب في معسكر الهلال، حيث كان الهدف من هذا الأمر تحويل الأسرى الذين تمَّ تصنيفهم إلى ثلاث فئات، المتحمِّسون لفرنسا والحياديون والمهتمون، إلى مشاركين متحمِّسين في الحرب المقدسة[٩٨]، لكن مكتب (انفو) لم يعوِّل على الحجَّة القانونية فقط، ففي النشرات الدعائية المتوافرة لديَّ، يبدو أنَّ الحجَّة القانونية موجودة فقط لتعزيز الحُجج الأخرى[٩٩].

كان مكتب (انفو) يعي أنَّ الأوامر المعيارية (الواردة في النصوص المقدسة) كما في أحكام الجهاد تتم فلترتها من خلال وقائع اجتماعية، أي أنَّ الدعوة إلى الجهاد لم تكن لتحصل على استجابةٍ خالصة بسبب سلطتها القانونية، بل فقط إذا كانت هذهِ الدعوة تقدم وعوداً بمكاسب اجتماعية وسياسية مباشرة؛ لذا يمكن القول إنَّ القتال ضدَّ القوى الاستعمارية يمكن أنْ يكون الحافز الأقوى الذي سعى إليه الألمان، وهذا ما تناولته الدعاية بصورةٍ مباشرة حيث شغلت مناهضة الاستعمار حيزاً كبيراً فيها؛ لذلك كانت الأعمال الوحشية التي ارتكبتها القوى الاستعمارية هي الموضوع المنطقي. كانت معظم الكُتيبات والكراسات التي اطَّلعتُ عليها عبارة عن نصوصٍ فقط، أمَّا الصور التي رافقت المواد فكانت تُلقي الضوء على اضطهادٍ وحشي[١٠٠]، فيما اتهمت نصوص أخرى الجيش الفرنسي بالتمييز العنصري ضدَّ المسلمين، واتهمت البريطانيين بالتسبب بفقر الهند[١٠١].

كان اتهام القوى الاستعمارية بمُعاداة الإسلام هو الفكرة المواتية لسهولة التعاطي مع الجهاد المُعلن دفاعاً عن الإسلام. وكان الخيار بين أمرين، إمَّا أنْ تقاتل مع الفرنسيين، أو أنْ تقاتل مع أخوتك في الجهاد[١٠٢].

كان معظم ما يُقتبس من تصريحات سياسيين بريطانيين أو فرنسيين بارزين، إمَّا لتفنيد تلك التصريحات بتفاصيل دقيقة، أو لكشف كرهٍ مزعوم للإسلام.

كشفت إحدى الرسائل المفتوحة الموجَّهة للملك المغربي مولاي يوسف، والذي كان أُلعوبةً بيد الاستعمار، عن تهديدٍ ضمني بنزع الشرعية عن حكمهِ وتشجيع المقاومة ضدَّه وضدَّ أسياده الفرنسيين، فيما كشفت رسالة أخرى موجَّهة إلى السنوسيين تُبارك مقاومتهم ضدَّ الإيطاليين في طرابلس، مع نيَّةٍ طُرحت بدبلوماسية في تشجيع محاكاة هذهِ المقاومة في تونس والجزائر[١٠٣].

وفي قضايا أخرى، كان هناك تحشيد للقانون الدولي ضدَّ القوى الاستعمارية، كما ورد ذلك في رسالةٍ مفتوحة لسياسي مصري في المنفى[١٠٤]. وفي أسلوب أكاديمي إلى حدٍّ ما، كتب الدكتور (م. م. رفعت) مقالةً باللغة الفارسية، يقف فيها ضدَّ المقارنة بين الاحتلال البريطاني لمصر والانتهاك الألماني لحياد بلجيكا[١٠٥].

كانت النصوص المُعادية للاستعمار والتي كتب أغلبها مسلمون متعاونون مع مكتب (انفو) (بقدر تعلُّق الأمر بنموذجنا من النصوص الدعائية) غير ذات أهمية، على الرغم من نيلها استحسان السلطات الألمانية في المكتب. كانت الجهات الألمانية الرسمية ترفع صوتها بين حينٍ وآخر معترضةً على المُناظرات الصريحة في معاداتها للاستعمار؛ لأنَّ ألمانيا ليست لديها النيَّة في أنْ تفتح باب الحرية لمُستعمراتها[١٠٦].

وعند مقارنة أكثر المناظرات قانونيةً من التي حشَّد لها المُستشرقون (وعلى وجه الخصوص مناظرات صالح الشريف) فمن الصعب تجنب الانطباع بأنَّ المسلمين يملكون حس أفضل بالهموم الواقعية لمواطنيهم.

هناك مناظرة أخرى هيمن عليها التوتر عن دعاية مكتب (انفو)، كان الجانب الألماني بالتأكيد هو الذي أوحى بها ابتداءً. كشفت مذكَّرة (أوبنهايم) بالفعل عن خوفٍ مَرَضي من دعاية الحلفاء. في الواقع، مقدار كبير من جهد ألمانيا الدعائي كان لمساعدة ألمانيا على النجاح في الطريق الصحيح، وتصحيح ما زُعم أنَّه قد أُسيء فهمه، أو تشويهه في التقارير الحربية البريطانية والفرنسية منها على وجه الخصوص. يبدو هذا الإصرار منطقياً فيما يتعلَّق بالدعاية، حيث تُقر ألمانيا بأنَّ المسلم الأكثر تفكيراً بطريقةٍ شرعية سوف يمتنع عن الجهاد إذا كان ذلك يعني الوقوف إلى جانب الطرف الخاسر في الحرب. وبالتالي كانت فكرة ألمانيا المنتصرة تسير جنباً إلى جنب مع فكرة ألمانيا صديقة المسلمين[١٠٧]، لكن معظم الكُتيبات والكرَّاسات تعاملت مع هذا الموضوع بشكلهِ الإحصائي فقط، من خلال الجنود الذين تمَّ أسرهم، والسفن التي تمَّ تدميرها، وسلاح المدفعية الذي تمَّ الاستيلاء عليه.

وكما يبدو أنَّ بعض هذهِ الكُتيبات كانت نشرات منتظمة الصدور تتألَّف من بضع صفحات[١٠٨]، فيما كانت هناك كرَّاسات تتألَّف من ستين صفحة أو أكثر، تتضمَّن سرد زمني متسلسل للحرب[١٠٩].

كان الإحصاء الدقيق (للحقائق) مشكوك فيه. فالتقارير المُستمرة حول النصر تتناقض على المدى البعيد مع حقيقة أنَّ الحرب لم تنتهِ بعد.

علاوةً على ذلك عندما كانت تتوافر أحدث التقارير من مصادر أخرى كما في معسكر الهلال، لُوحظ أنَّ التقارير الواردة بلغات الأسرى كانت غالباً غير محدَّثة، وأنَّ التضارب غالباً ما يكشف عن تطوراتٍ غير محبَّذة تتناقض تناقضاً صارخاً مع الصياغة التعبيرية[١١٠].

جميع التقارير الحربية التي اطَّلعت عليها حتَّى الآن ركَّزت على أحداث ساحات الحرب الأوربية، في الوقت الذي لم يتم ذكر التطورات على الجبهات العثمانية وفي القوقاز وبلاد ما بين النهرين.

في سبيل المثال، وفي كُتيبٍ يتألَّف من ستين صفحة، لم يكن ذكر الجهاد يستحق أكثر من سطر ونصف، ولم يشغل فشل الهجوم البحري على الدردنيل في الثامن عشر من آذار عام ١٩١٥م سوى سبعة سطور[١١١]. صرَّح نقَّاد يعملون في مكتب (انفو) أنَّ تضمين هذهِ التقارير مجموعة واسعة من الأسماء والأرقام سوف يُسبِّب الإرباك والملل للجماهير غير الأوربية البعيدة عن ساحات الحرب[١١٢]. وفي محاولةٍ لجعل المعلومات أكثر تقبلاً، تمَّ توزيع ألبوماتٍ مصوَّرة صُمِّمت في

الأصل للجماهير الأوربية، توسَّعت فيما بعد لتضم صفحاتٍ تحتوي على وسائل توضيحية باللغات التركية والعربية والفارسية والأردو[١١٣].

ذهب الوسط السياسي الألماني إلى أبعد من ذلك. ففي كرَّاسٍ يحمل عنوان: (الأخلاق والقوة العسكرية للأمَّة الألمانية)، قارن المؤلِّف بين المثالية الألمانية الموجَّهة للشعب مقابل الفردية الإنكليزية. ومثل هذا التفوق الأخلاقي سوف يُحقِّق التفوق العسكري[١١٤]. ويبدو أنَّ توجيهات (أوبنهايم) بأنْ تحتل ألمانيا الصدارة في جميع الدعايات قد تمَّ تطبيقها حرفياً. أصرَّ (أوبنهايم) على أنَّ إعلان ألمانيا نفسها كأعظم قوة اقتصادية كان في صالح ألمانيا، فيما عبَّر دبلوماسيون آخرون عن مخاوفهم من أنَّ مثل هذا الإعلان سوف يُثير الشكوك حول خطط ألمانيا لِمَا بعد الحرب[١١٥].

افترضت جميع هذهِ التقارير أنْ يكون الجمهور مطَّلعاً مع إمكانيةٍ ميسَّرة للوصول إلى المعلومات، وخاصةً الخرائط، للاستفادة من البيانات التي يتم تزويدهم بها، وسيكون تفنيد الأفراد لِمَا ورد في هذهِ التقارير والتعليق عليها من قبل الصحف الفرنسية والبريطانية في سبيل المثال مفهوم فقط لقُرَّاء هذهِ الصحف. كما أنَّ الاعتقاد الساذج بأنَّ الحقيقة سوف تُثبت صدقها كان يقف خلف المحاولة الخرقاء لإظهار كيف تتم معاملة أسرى الحرب من المسلمين.

وفي بحثها اليائس عن موضوعٍ مفيد، استولى مكتب (انفو) على رسائل بين أحد الأسرى ووالده في الجزائر. كشفت العملية الشاقة لتحرير تلك الرسائل مرةً أخرى عن معضلة مكتب (انفو): بعيداً عن التركيز على معاملة الأسرى، فإنَّ الإتيان على ذكر مزرعة الأب واستخدام اللهجة الجزائرية منح الرسائل جواً من المصداقية كما جعلها تبدو (مهذَّبة جداً). وفي رسالتين أخرتين تمَّ استخدام فصاحة حماسية ومقاطع كلامية من القرآن تدعو إلى الحرب المقدسة، وللسبب نفسهِ تبدو هاتان الرسالتان أقل مصداقيةً بكثير من كونها وثائق شخصية[١١٦].

عَمِل مكتب (انفو) على الاستفادة من الأدب في جهدهِ الدعائي، حيث وزَّع قصيدةً كتبها مجموعة من أعضاء الجمعية الوطنية للشباب المصري باللغة العربية في برلين عام ١٩١٥م، بمناسبة اعتلاء الخديوي عباس حلمي الثاني العرش. كانت هذهِ القصيدة تدعو إلى الوحدة الإسلامية والجهاد، وتُعبِّر عن الأمل في أنْ تكون عودة عباس حلمي تحت حكم خليفةٍ عثماني[١١٧].وهناك ثلاث قصائد باللغة الفارسية أغدقت بالثناء على الجيش الألماني، متخذةً من شكل ولغة الملاحم الفارسية أسلوباً لها، وخاصةً ملحمة شبنامه[١١٢] Shabnama، و (ليلى والمجنون) لنظامي غانجافي Layli va Majnun, by: Nizami Ganjavi[١١٨].

مرةً أخرى نرى أنَّه من الصعب تخيل أنْ يكون لمثل هذهِ الممارسات تأثيراً أبعد من مجموعة المثقفين في مقاهي المدينة، حيث يجد هؤلاء التأييد ممَّن حولهم في التعاطف مع ألمانيا. ويبدو أنَّ الحفاظ على هؤلاء المثقفين كان هدف من أهداف مكتب (انفو)، على الرغم من عدم جدوى هذهِ المحافظة بالتأكيد في الانتصار على أعداءٍ سابقين. نجد في الوقت نفسهِ أنَّ لهذهِ القصائد صدىً مع الفكرة المنتشرة بشكلٍ واسع في أوروبا حول الإنسان الشرقي وخاصةً الفارسي، من حيث سرعة تأثره بكلِّ ما هو كلاسيكي أو بالشعر الكلاسيكي.

ومن المثير للسخرية أنَّ النُقَّاد في مكتب (انفو) قد اعترضوا على هذهِ الممارسة مخافة أنْ تُحرض بشكلٍ خاص تعصب الجماهير غير المتعلِّمة، وهذا بالتأكيد ليس هدف المكتب من هذهِ الجهود.

وتلخيصاً لِمَا سبق، يبدو أنَّ قيادة مكتب (انفو) كان لديها فكرة عمَّا تريده، وهو مجاهدين متعصِّبين، لكنها بالكاد تملك فكرة عن كيفية تأجيج هذا التعصُّب.

كان التعصُّب هو الفكرة السائدة المرتبطة بالإسلام، أو على الأقل مرتبط مع فكرة الوحدة الإسلامية. وظهرت مفردة (التعصَّب) باستمرار في سياق الممارسة الفعَّالة للإسلام إلى الحدِّ الذي يجعل المرء يظن أنَّ من وجهة النظر العامة (المسلم الفعَّال) و (المسلم المتعصِّب) هما الشيء نفسه.

اعتقد فيلهيلم الثاني أنَّ (السلطان – الخليفة) هو الحل لتعصُّب المسلمين[١١٩].

ميَّز المُستشرق الهولندي سنوك هوغرونيه بين النُّخبة المثقفة (اقرأ: المتأثرين بأوروبا Europeanized)، والجماهير "التي يمكن إثارة التعصُّب بينها بسهولة"[١٢٠].

كان المراقبون المعاصرون منزعجين من تأثير وعظ صالح الشريف على المسلمين الذين تمَّ أسرهم في الجبهة الغربية، واصفين إيَّاهم "كان الشيخ صالح قادر على تأجيج التعصُّب عند الأسرى المسلمين، إلى الحدِّ الذي جعل اثنين منهم يودعان أخوتهم بعيون ملأى بالدموع من أجل العودة إلى الخنادق الإنكليزية لتشجيع زملائهم. لسوء الحظ كِلا الرجلين إضافةً إلى الرقيب الذي رافقهما عِبرَ خطوطنا القتالية قتلتهم قواتنا أثناء محاولتهم العبور"[١٢١].

يوضح هذا الوصف، بعيداً عن السخرية، الهوَّة الثقافية الملموسة بين الألمان و (الإسلام المتعصِّب)، هوَّة لم يستطع حتَّى المُستشرقون ذوو الخبرة والملتفون حول مكتب (انفو) من ردمها.

أمَّا اقتراح بروبستر Probster، أحد أعضاء مكتب (انفو)، في أنْ يُصار إلى جعل الأسرى في معسكر الهلال يقرأون (التسلسل الزمني للعصور الوسطى لابن خلدون)، لاستنهاض روحهم القتالية من خلال استذكار ماضيهم المجيد، فيبدو مثال آخر على أنَّ محاولات إثارة التعصُّب الإسلامي كانت بالفعل عاجزةً وغير واقعية[١٢٢].

فلا عجب إذن أنَّ مكتب (انفو) عندما شعر بالحاجة إلى أنْ تكون دعايته أكثر تأثيراً وبالتالي أكثر تحريضاً[١٢٣]، عادت إلى منح المسلمين المتعاونين معها حريةً أكبر في التصرف، ليتمكَّنوا من التعامل مع الأمر بطريقتهم الخاصة[١٢٤].

من ناحيةٍ أخرى، في خريف ١٩١٥م، وبعد الانتقاد الشديد الذي واجهته صحيفة الجهاد من داخل مكتب (انفو)، تمَّ إصدار الأوامر بأن يتم التطرق لموضوعاتٍ أكثر، على أنْ تُرفع هذهِ الموضوعات من قبل السجناء أنفسهم[١٢٥]. وهذا يُشير إلى منهجٍ تنافسي آخر في وظيفة الصحف الدعائية. وبدلاً من سياسة التلقين من الأعلى إلى الأدنى، أصبحت صحيفة الجهاد من الأسرى وإلى الأسرى، وبالتالي أصبحت وثيقة الصداقة الألمانية – الإسلامية. وتبدو هنا ضرورة القراءة المتفحِّصة للموضوعات المتناوَلة من أجل التحقق فيما إذا كان هناك محاولاتٍ جادة لخلق تجمُّع ألماني – مسلم داخل معسكر الهلال.

سبَّب الارتباط المُحتمل لمكتب (انفو) مع التعصُّب الإسلامي مخاوف كبيرة. لا تُشير الوثائق المتوافرة أنَّ هذهِ المخاوف أدَّت إلى تغييرٍ في الطريقة التي خاطب بها مكتب (انفو) جمهوره من المسلمين، على الرغم من أنَّ هذهِ الوثائق لَمَّحت إلى أنَّ تأكيد مخرجات المكتب على التقارير الحربية والاتهامات بالاضطهاد الاستعماري سببه شعور الكُتَّاب والضبَّاط بوخز الضمير. ويبدو الخلاف جلياً في الأعمال العديدة التي تدافع عن المتحالفين مع الوحدة الإسلامية أمام الشعب الألماني.

٨. ترتبط المناظرة الألمانية العامة بهذهِ المقالة بالقدر الذي تعكس قضايا الأخلاقيات المهنية، والوعي الذاتي للعلماء ذوي العلاقة.

تكبَّد مكتب (انفو) العناء لنشر موضوعاتٍ محبَّذة في الصحافة الألمانية، والتكتم على انتقاد (حلفاء الإسلام) كما يصفهم التعبير[١٢٦]. نشر العديد من العلماء ممَّن كانوا ضمن دائرة مكتب (انفو) مقالاتٍ قصيرة، فيما تمَّ إصدار سيل مشابه من الكُتيبات من جانب حلفائهم[١٢٧].

نشر (بيكر) في خريف عام ١٩١٥م مقالةً تحت عنوان: (ألمانيا والإسلام) Deutschland und der Islam، ضمن سلسلة إيرنست جاكه Ernst Jackh، تحت عنوان: (الحرب الألمانية) Der Deutsche Krieg، دافع فيها عن سياسة ألمانيا تجاه الإسلام (وللتذكير، كان بيكر واحداً من أكثر الرجال تأثيراً في الساحة، لكنه لم يكن مرتبطاً بمكتب (انفو) بشكلٍ مباشر)[١٢٨]. ومن بين جميع الكُتيبات والكُرَّاسات التي نُشرت في ذلك الوقت، تلقَّت مقالة (بيكر) رداً عنيف من قبل سنوك هوغرونيه، العالم الهولندي والإداري في المُستعمرات لفترةٍ طويلة، في المجلَّة الشهرية الدولية Internationle Monatsschrift، حيث ردَّ عليه (بيكر) في الصحيفة نفسها[١٢٩].

اتهم (سنوك)، الذي كان على صلةٍ وثيقة بالعديد من زملاء العمل الألمان، (بيكر) بالتعقيد كونه كان يخشى أنْ يضع (بيكر) ما يراه (سنوك) المهمة الحضارية لهولندا في جنوب شرق آسيا في خطر. علاوةً على ذلك استنكر (سنوك) تأييد (بيكر) للجهاد والذي أدى بدورهِ إلى نقض تقييماتٍ ألمانية سابقة للوحدة الإسلامية. ردَّ (بيكر) مدافعاً عن (التحالف مع الإسلام) بأنَّه أمر منطقي في أوقات الحرب، فيما اعترف أنَّ هذا النوع من الجهاد لم تكن له سابقة في التاريخ الإسلامي، من ناحيةٍ أخرى ذهب (بيكر) إلى أبعد من ذلك حين قلَّل من التأثير المُحتمل للجهاد على المُستعمرات الهولندية.

كِلا العالِمَين أدرك المكوِّن السياسي الطبيعي لعملهِ الأكاديمي، لكن لم يؤيد أيٌّ منهما العودة إلى البرج العاجي الذي كان المُستشرقون قد بدأوا بمغادرتهِ للتو. (يبدو هذا الأمر واضحاً عند سنوك، لكنه أيضاً يحمل الحقيقة عند بيكر)[١٣٠]. إضافةً لذلك يعتقد سنوك وبيكر أنَّ الدراسة الأكاديمية سوف تكشف حقائق تُخبر عن عملية صُنع القرار، وكان اعتمادهم على هذهِ الحقائق الموضوعية يتوافق مع اعتقادهم المبدئي بالانتماء إلى مجتمعٍ انتقالي من العلماء يعملون على المشروع نفسهِ. فإذا كان بالإمكان الأخذ بتوافق (سنوك) بعيد المدى على أنَّه مؤشِّر، فإنَّ عصب هذا المجتمع كان محصوراً بالعالَم المتحدِّث باللغة الألمانية، والمتضمِّن غولدزيهر Goldziher في بودابست، إضافةً إلى (سنوك) في ليدن. في الوقت نفسهِ ظهرت أسماء،

مثل: لويس ماسينون Louis Massignon، ودونكان ماكدونالد Duncan McDonald، ومانويل آسن بالاسيوس Manuel Asin Palacios، في رسائل (سنوك) بوصفهم جزء من هذا المجتمع. وكان ظهور أول موسوعة في الإسلام Encyclopedia of Islam قبل الحرب بفترةٍ قصيرة وثيقة مذهلة لعملهم التعاوني[١٣١].

حسب رأيي، إنَّ النبرة الانفعالية العالية في المناظرة يمكن تفسيرها من خلال حقيقة أنَّ الشعور المجتمعي قد شتَّته تدخل السياسة.

ربط (سنوك) الهمجية المزعومة في دعوة الجهاد إلى انتهاك ألمانيا لحياد هولندا في بداية الحرب. وادعى (بيكر) عدم تصديقه بأنَّ الهولنديين قد أحجموا عن تأييد ألمانيا في ما كان يراه صراع يائس من أجل البقاء الوطني. مع ذلك كان الخصمان يشتركان في أمورٍ عدَّة، أكثر ممَّا يمكن أنْ يعترفا بهِ، فكلاهما أرادا الحفاظ على احتكارٍ أكاديمي من أجل تدخلاتٍ رسمية في الأوضاع العامة، كما يؤكدان لبعضهما ازدرائهما لجميع الكتابات غير الأكاديمية حول الجهاد الألماني، كما التزم كلاهما (ضمنياً أو صراحةً) بالأخلاق المهنية التي تُقدِّر التمسك بالرأي العلمي، أكثر ممَّا تفعل مع الالتزامات السياسية الآنية.

تكمن قوة (سنوك) في المناظرة من حقيقة كونهِ قادراً على تحديد السياسة الاستعمارية التي يدافع عنها، بوصفهِ عالماً بهذهِ السياسة (وكونه مساهماً فيها بشكلٍ حاسم)، فيما اعترف (بيكر) في رسائلهِ إلى (سنوك) أنَّ موقفه العام كان مختلفاً قبل الحرب عن موقفهِ الأكاديمي. وهذا يعني ضمنياً أنَّ (بيكر) لم يكن له تأثير في السياسة الألمانية، لكنه شعر أنَّه مُلزم بدعمها؛ ولذلك اتُّهم بأنَّه يُساوم على مصداقيتهِ الأكاديمية. وصرَّح (سنوك) علناً أنَّ مكانة (بيكر) بوصفه عالماً هي التي دعت (سنوك) للتدخل في المناظرة للدفاع عن الأخلاق المهنية، وتضمَّن رد (بيكر) أنَّه يشعر أنَّه مَدين للمعايير ذاتها.

يأتي تناول هذهِ المناظرة بوصفها جزء من الدراسات الاستشراقية في علم الدراسات التاريخية، وهي أيضاً استمرارية للتأمل الذاتي في هذا الحقل. وعلى هذا النحو تكون علاقة المناظرة بهذهِ المقالة.

طرح بيتر هين Peter Heine هذهِ المناظرة على أساس العلاقة الإشكالية بين الدراسات الأكاديمية الاستشراقية (وبالتالي جميع أنواع الدراسات) والمؤسَّسة السياسية، وبتأكيدهِ على خطر المُساومة على معايير العمل الأكاديمي يبدو أنَّه كان يشترك مع هذهِ المناظرة بالفهم الذاتي المعرفي نفسه[١٣٢]. وفي ردٍّ مفصل لهذا التضمين، حاول هانش Hanisch التشكيك بمكانة الأوساط الأكاديمية في المجتمع، من خلال تحويل التركيز من المحافظة على المعايير المعرفية إلى المسؤولية الاجتماعية للعمل الأكاديمي[١٣٣].

وفي هذا الصدد لم تكن الجوانب الإرشادية لمساهمات كليهما محددة بالدراسات الاستشراقية، بل ذات صلة وثيقة بجميع أنواع الدراسات؛ لذلك ناقش كلاهما المسألة برمَّتها بدون الإشارة إلى الإشكالية الاستشراقية، على الرغم من أنَّ كتاب إدوارد سعيد كان قد ظهر قبل ذلك بوقتٍ قصير.

تناول توماس شيفلر Thomas Scheffler

قضية تقديم (الشرق) باختصار، حيث أوضح أنَّ الدراسات الاستشراقية الألمانية، وبسبب غزو هذا الحقل بالمعاصرة، ليست معنيةً بتقديم الشرق على أنَّه (الآخر) الخالد. تبدو هذهِ النقطة صائبةً من جوانبٍ عدَّة.

كانت صورة الشرق المتأنث غائبة، وبدلاً عنها كانت صورة الأتراك مرتبطة دائماً بالرجولة. من ناحيةٍ أخرى، كانت الأفكار العنصرية وتشويه سمعة الإسلام على أنَّه دين التعصَّب والشعور بأفضلية الغرب المتحضِّر تغزو الكثير من الخطاب الاستشراقي الألماني؛ لذلك كانت فكرة (شيفلر) القائلة إنَّ اهتمام الألمان بالشرق كان اهتماماً بالشراكة أكثر منه اهتماماً بالهيمنة الاستعمارية، بحاجة للتعديل[١٣٤].

يمكن القول إنَّ المسألة ليست مسألة اختيار، بل ما كرَّسه الموقف السياسي: وكما ذكرنا آنفاً، إنَّ ألمانيا لم تخلو من مطامح استعمارية فيما يتعلَّق بالمناطق العثمانية.

على أيَّة حال، فإنَّ عدم التوافق في هذهِ الشراكة أمرٌ واضح.

تجاهلت مناظرة (شيفلر) حول التحول الألماني على وجه الخصوص من علم الفقه الشرقي إلى العلوم السياسية الحديثة، التشابه الهيكلي لقضايا استشراقية أخرى.

وبهذا، نصل إلى الاستنتاج بأنَّ مشروع الجهاد الألماني تمَّ الشروع بهِ خارج الحقل الأكاديمي، لكنه وجد شركاء راغبون بهِ ضمن الممثلين عن طبقةٍ جديدة من العلماء، مهتمة بالتفاعل المباشر مع الشرق الأوسط المعاصر والإسلام.

وفيما استمرت الدراسات الأكاديمية الكلاسيكية، كانت الصلات السياسية الوثيقة مع الدراسات المعاصرة محطَّ اعترافٍ واحتضانٍ علني في هذا الوسط، وكان الارتباط مع الخطاب السياسي يبدو جلياً وإنْ كان بدرجاتٍ متفاوتة على نطاقٍ واسع.

يكمن عمل مكتب (انفو) إلى حدٍّ كبير في المهمة المستحيلة المتمثلة بإعلان الجهاد الذي أنتجته الدوائر السياسية غير ذات العلاقة المباشرة مع الخبراء الأكاديميين.

أظهر البحث عن مناظراتٍ مقنعة على كافَّة المستويات، إنَّ العلماء قد وصلوا إلى درجةٍ لم يكن عملهم ضمن الخطاب الاستشراقي فحسب، بوصفهم مَدينين لمفاهيم أساسية في الإسلام، بل كانوا يرغبون أيضاً باستكشاف مناظراتٍ أكثر ارتباطاً بالوقائع الاجتماعية والحياة اليومية في العالم الإسلامي. على أيَّة حال، أثبتت هذهِ القضية على وجه الخصوص عدم منح الخبراء السلطة، وأنَّ خبرتهم ليست هي ما كان يُسعى خلفه، وأنَّهم تمَّ استخدامهم على الأغلب كمُساعدين تنفيذيين لسياسةٍ تصورها آخرون في مكانٍ ما. وهذا ما عبَّر عنه فريدريش روزن Friedrich Rosen، وهو موظَّف رفيع المستوى في وزارة الخارجية ومستشرق جدير بالاحترام، الذي تساءل في مذكَّراتهِ ساخراً فيما إذا كان يجب أنْ يُدعى الروائي كارل مَي Karl May أب السياسة الاستشراقية الألمانية، مع الاحترام للحرب المقدسة عام ١٩١٤م[١٣٥].

تتحدث هذهِ السِّمَة عن انعدام الصلة الجوهرية بين المعرفة الأكاديمية الراهنة، والأفكار

التي شكَّلت الأدب والفن وصنع القرار السياسي.

شـخَّص سـنوك هوغرونيه وجـود توتر ما بين العمـل الأكاديمـي للمُسـتشرقين الألمـان، أمثـال (بيكر)، وارتباطهم بالحرب المقدسـة الألمانية، وقد عثرنا على الكثير مـن الأمور الغامضة المرتبطة بهذا الأمر.

وهـذا يُعيدني إلى تصريـحٍ لـ(سـعيد)، والذي أعتقـد أنَّـه لم يلـقَ الاهتمام الـذي يسـتحق. صرَّح (سـعيد) أنَّ دراسـته لم تؤسِّـس "لقانـون حاسـم وعاجـل حـول العلاقـة بين المعرفـة والسياسـة"، واسـتطرد قائـلاً: "إنَّ أيِّ بحـثٍ بـشري يجـب أنْ يشـكِّل، إلى حـدٍّ مـا، طبيعة هـذا الارتبـاط ضمن السـياق المحـدد للدراسـة وموضوعهـا وظروفها التاريخية"[١٣٦].

تدعـم هـذهِ المقالـة فرضيـة (سـعيد)، وذلـك بتوضيـح مـدى التعقيـد الـذي كانـت عليـه هـذهِ العلاقـة، إضافـةً إلى سـهولة تقلُّب المواقـف بتغير الظـروف السياسـية في ألمانيـا الدكتاتوريـة في عـام ١٩١٤م.

الهوامش:

أوحـت لي مقالـةً بقلم بيـتر هـينPeter Heine ، صدرت في مجلَّـة (عالم الإسـلام)، العـدد (٢٤)، سـنة ١٩٨٤م، بعنـوان مقالتـي هـذهِ. كانـت مقالة هين، تحـت عنوان: (كريسـتيان سـنوك هوغرونييـه إزاء كارل هينريـش بيكـر: مسـاهمة في تاريـخ الاسـتشراق التطبيقـي) C. Snouck Horgroje Versus C. H. Becker: Ein Beitray Zur Geschichte der angewandten Orientalistik. كما أتقدم بالشكر إلى مجموعـة الدراسـات الألمانيـة – التركيـة في جامعـة ميشـيغان، وإلى كلاوس كريـسر Clause Kreiser (بامبيرغ)، وجيرارد هوب Gerard Hopp (برلين)، وجنيفـر جينكنـس Jennifer Jenkins (تورنتـو)، وإلى المراجعـين المجهولـين لاقتراحاتهـم ونقدهـم. اسـتخدمتُ في هذهِ المقالة مصطلح (تركي) Turkish بوصفـهِ مرادفـاً سياسـياً وإداريـاً لمُصطلـح (عثـماني) Ottman. كـما اسـتخدمتُ (إسـطنبول) Istanpul (القسـطنطينية) Constantinople، بالتبادل وبدون أيـة أفكار تعصبية. أمَّا إملاء الأسـماء التركية، فقد قمتُ بنفسـي بترجمتهـا جميعاً، وتمَّت الإشـارة إلى ذلك في حال كون الترجمة منقولة.

(١) لمعرفـة الأحداث التـي قـادت الإمبراطورية إلى خوض الحرب، يُنظر:

Gotthard Jaschke, "*Zum Eintritt der Turki in den Weltkrieg*", Welt des Islams, 19, (1979).

لسـتُ أنوي أنْ أُعيد المناقشـات التي تسـاءلت فيما إذا كانت الإمبراطوريـة بأسرهـا، أو أعضاء مـن الحكومة التركية الفتيـة، قـد غُـرر بهـم مـن قِبـل الألمـان أو المتعاونـين معهـم لخـوض الحـرب. ولمعرفـة الجوانـب العسـكرية والدبلوماسية للتحالف الألماني – التركي، يُنظر:

Ulrich Trumpener, *Germany and the Ottoman Empire (1914-1918)*, Princeton: N. J. Princeton University Press, 1968; Frank G. Weber, *Eagleson the Crescent: Germany, Austria, and the Diplomacy of the Turkish Alliance*

(1914-1918), Ithaca: Cornell University Press, 1970; Veli Yilmaz, *1nci Dunya Harbi'nde Turk-Alman Ittifaki Ve Askeri Yardimlar*, Istanbul: Veli Yilmaz, 1993.

(٢) نُشرت الفتاوى في مقالٍ لجيفري لويس Lewis Geoffrey، في مجلَّة:

Islamic Quarterly, vol. 19 (1979), p.157-63.

تحت عنوان: (الإعلان العثماني للجهاد عام ١٩١٤م). ومقال غوتفريد هاغن:

Die Turkei im Erten Weltkrieg: Flugblatter und Flugschriften in arabischer, persischer und osmanisch – turkischer Sprache aus einer Sammlung der Universitatschibliothek Heidelberg eingeleitet, iiberstetzt und kommentiert, Heidelberger Orientalistische Studien, 15, Frankfurt: P. Lang, 1999, p.67-9. For a contemporary publication for the German Public, see: Welt des Islams, vol. 3, (1915): p.10-18. For aphotograph see: Gerhard Hopp, *Muslimein der Mark: Als Kreigsgefangene und Internierte in Wunsdorf und Zossen (1914-1924)*, Berlin: DasArabische Buch, 1997, p.167.

(٣) واحدة من الصور النادرة التي رأيتها للحدث، تظهر فيها الحشود أمام وزارة الحرب:

Hagen Die Turkei im Ersten Weltkrieg, 259. on the visit to the grand vizierate see: C. Snouck Hurgronje, *The Holy War (Made in Germany)*, with a word of Introduction by: Richard J. H. Gottbeil, New York: G. P. Putnam's Sons, 1915, p.49.

(4) Hopp, "*Muslime in der Mark*", 32, quoting Schabinger von Schowingen.

(٥) يستند سير الأحداث هذا على ما ورد في مقالة Trumpener، تحت عنوان: (ألمانيا والإمبراطورية العثمانية)، ١١٨. ومقالة Snouck Hurgronje، تحت عنوان: (الحرب المقدسة.. صُنع في ألمانيا)، (٤٨) صفحة. أشار إدغار شتيرن – روبارث، وهو أحد المشاركين في المسيرة، إلى أنَّ المراسيم التي جرت في جامع مُحَمَّد الفاتح قد جاءت بعد الاستقبال إلى السفارة الألمانية، لكن يبدو حدوث هذا الأمر احتمالاً ضعيفاً. مقتبس في:

Hopp, *Muslime in der Mark*, p.36.

(6) Mary Mills Patrick, *Under Five Sultans*, London: Williams and Norgate, 1930, 289f.

(7) Anna Grosser-Rilke, *Nieverwebte Klange*, Leipzig: Otto Beyer, 1937, p.236. Grosser-Rilke, originally a pianist and a student of Franz Liszt, was the head of the Agence de Constantinople, the local partner of the Wolffsche Telegraphenbüro. On this see Irmgard Farah, Die deutsche Pressepolitik und Propagandatätigkeit im Osmanischen Reich von 1908–1918 unter besonderer Berücksichtigung des "Osmanischen Lloyd", Beiruter Texte und Studien 50, Beirut: In: Kommission bei Franz Steiner Verlag Stuttgart, 1993.

(8) Herbert Landolin Müller, *Islam - Gihad (Heiliger Krieg) und Deutsches Reich: Ein Nachspiel zur Wilhelminischen Weltpolitik im Maghreb (1914–1918)*, Europäische Hochschulschriften, reihe 3, Geschichte und ihre Hilfswissenschaften 506, Frankfurt: P. Lang, 1991, p.228, quoting Stern-Rubarth.

(٩) باتريك، تحت حكم خمسة سلاطين، ص ٢٩٠. كان

مصطلح (الفرنجة) هو المُصطلح الشائع المقابل لمُصطلح (التركي)، للإشارة إلى كلِّ ثقافةٍ مستوردة من أوروبا. وضع المراقب الأميركي المتحيز هنري مورغنثاو Henry Morgenthau اللوم بكلِّ صراحة على السفارة الألمانية فيما تلا ذلك من عنفٍ ضدَّ المسيحيين.

Henry Morgenthau, *Ambassador Morgenthau's Story*, Garden City, New York: Doubleday, Page and Company, 1918.

(10) Edward W. Said, *Orientalism*, 1st ed., New York: Pantheon Books,1978, p.2-3.

(11) George Steinmetz, "*The Devil's Handwriting: Procolonial Discourse, Ethnographic Acuity and Cross-Identification in German Colonialism*", Comparative Studies in Society and History, 45:1, 2003, p.41-95.

(12) Ussama Makdisi, "*Ottoman Orientalism*", American Historical Review, 107:3, 2002: p.768–96; Mohamad Tavakoli-Targhi, *Refashioning Iran: Orientalism, Occidentalism, and Historiography*, New York: Palgrave, 2001; Selim Deringil, *The Well-Protected Domains: Ideology and the Legitimation of Power in the Ottoman Empire 1876–1909*, London: I. B. Tauris, 1998.

(١٣) الويس موسل Alois Musil: هو النمساوي الوحيد الذي تعاون بشكلٍ هامشي، حيث نسَّقت بعثته إلى القبائل العربية مع الجهات العسكرية الألمانية عام ١٩١٤م، حيث كان يُرسل تقاريره إلى وزارة الخارجية الألمانية.

See Georg Sauer, "*Alois Musil's Reisen nach Arabien im Ersten Weltkrieg. Ein Beitrag zu seinem Lebensbild aus Anlaß seines 100. Geburtstages am 30. Juni 1968*", Archiv Orientální, no. 37, 1969, p.243–63.

(14) Johann Fück, *Die arabischen Studien in Europa bis in den Anfang des 20. Jahrhunderts*, Leipzig: Harrassowitz, 1955, p.21.

(١٥) لمعرفة المزيد حول يوهان ديفيد مايكلز Johann David Michaelis، عالم اللاهوت والمُستشرق المعروف، الذي قدَّم إضافةً إلى أشياءٍ عدَّة استطلاعاً حول البعثة العربية الشهيرة لكارستين نيبور Carsten Niebuhr ، ورفاقه، يُنظر:

Ulrich Hübner, "*Johann David Michaelis und die Arabien-Expedition 1761–1781*", in: Carsten Niebuhr (1733-1815) und seine Zeit. Beiträge eines interdisziplinären Symposiums vom 7-10. Oktober 1999 in Eutin, ed.: Josef Wiesehöfer and Stephan Conermann, Oriens et Occidens, 5, Stuttgart: Steiner, 2002, p.363-402.

(16) Fück, *Die arabischen Studien in Europa*, 108ff. On: Reiske's teacher Schultens and his theological background see, pp.105–7.

(١٧) مجموعة هينريش فون ديز، الرئيس السابق لمثلية بروسيا في إسطنبول:

Franz Babinger, "*Die türkischen Studien in Europa bis zum Auftreten Josef von Hammer-Purgstalls*", Welt des Islams, 7:3–4 [1919]: p.129. is now in the Staatsbibliothek Preussischer Kulturbesitz, Berlin; that of Count Wenzeslaus Rzewusky, the sponsor of Hammer-Purgstall's Fundgruben des Orients, is in Vienna's Österreichische Nationalbibliothek. While these were private enterprises, collecting manuscripts was an official part of the Niebuhr expedi-

tion. See: e.g., Gottfried Hagen, "*Unter den 'Tyrannen seiner Araber'–Carsten Niebuhr über Konstantinopel, Türken und Osmanisches Reich*", in: Wiesehöfer and Conermann, Carsten Niebuhr, p.302. It was most successfully accomplished by: Ulrich Jasper Seetzen, who sent about 3,500 manuscripts to the duke in Gotha before he was assassinated in Yemen in 1811. See: Ulrich Jasper Seetzen (1767–1811): *Leben und Werk. Die arabischen Länder und die Nahostforschung im Napoleonischen Zeitalter*, Gotha: Forschungs und Landesbibliothek, 1995.

(18) On all of them see Fück, Die arabischen Studien in Europa, and the obituaries by: Carl Heinrich Becker assembled in vol. 2 of Carl Heinrich Becker, Islamstudien. Vom Werden und Wesen der Islamischen Welt (Leipzig: Quelle and Meyer, 1924–32). On Goldziher see also Jean Jacques Waardenburg, L'islam dans le miroir de l'occident; comment quelques orientalistes occidentaux se sont penchés sur l'islam et se sont formé une image de cette religion: I. Goldziher, C. Snouck Hurgronje, C. H. Becker, D. B. Macdonald, Louis Massignon, Paris: Mouton, 1963.

(19) Babinger, "*Die türkischen Studien in Europa*", See also: Asli Çirakman, *From the "Terror of the World" to the "Sick Man of Europe": European Images of Ottoman Empire and Society from the Sixteenth Century to the Nineteenth,* Studies in Modern European History, 43,(New York: P. Lang, 2002.

(20) Helga Fischer, "*Osmanische Reich in Reisebeschreibungen und Berichten des 18. Jahrhunderts*", in: Das Osmanische Reich und Europa 1638-1789: Konfihkt, Entspannung und Austausch, ed. Gernot Heiss and and Grete Klingenstein, Munich: Oldenbourg, 1983. Instructive are the collective reviews publishedin Christopher Wilhelm Ludeke, Beschreibung des turkischen Reiches nach seiner Religious – und Staatsverfassung in der Letzten Halfte des achtzebnten Jabrbunderts, 3 vols., Leipzig: 1771-89.

(21) Klaus Kreiser, "*Unfeierliche Beiträge zu 100 Jahren Orientalistik in Deutschland*", in: Türkische Studien in Europa, Analecta Isisiana 31, Istanbul: Isis Verlag, 1998, p.87; Cf. Babinger, "*Die türkischen Studien in Europa*", p.125.

(22) For a convenient overview see: Klaus Kreiser, ed., *Germano-Turcica. Zur Geschichte des Türkisch-Lernens in den deutschsprachigen Ländern. Ausstellung des Lehrstuhls für türkische Sprache*, Geschichte und Kultur der Universität Bamberg in Zusammenarbeit mit der Universitätsbibliothek Bamberg, in: Türkische Studien in Europa, p.65–8.

(23) Babinger, "*Die türkischen Studien in Europa*", p.114–15.

ما تـزال أطروحـة مينسـكي Meninski تُعـد ذات فائدة إلى الحـد الـذي جعلهـم يُعيـدون طبعها عـام ٢٠٠٠م. (Simurg).

(٢٤) أظهـر Fuck Die Arabischen Studien in Europa الازدراء الأكاديمي للعلماء غير الأكاديميين، وذلـك باسـتبعاد جهـود هامـر Hammer باللغتـين العربيـة والفارسـية. في الواقع لم يكن (هامـر) عالماً بفقه اللغة، لكن تاريخـه الضخم حول الإمبراطورية العثمانية حتَّـى عـام ١٧٧٤م مـا يزال مثـار فخرٍ بين عظـماء رواة التاريـخ العثـماني باللغـات الغربية، ولا تـزال معلوماته حول الإدارة العثمانية ذات فائدة.

See: Klaus Kreiser, *Der Osmanische Staat 1300–1922*, Oldenbourg Grundriss der Geschichte 30, Munich: R. Oldenbourg, 2001, index, s.v. "Hammer-Purgstall".

(25) Klaus Kreiser, "*Haben die Türken Verstand? Zur europäischen Orient-Debatte im Napoleonischen Zeitalter*", in: Ulrich Jasper Seetzen. Tale of Forty Viziers.

إنَّ الدراسـة الشـاملة للحيـاة اليوميـة والثقافيـة في الـشرق الأوسـط ليست ممكنةً بدون معرفة اللغة التركية، ولكن يجب أخذ هذا الأمر بشيءٍ من الحيطة والحذر.

quoted in: Kreiser, *Türkische Studien in Europa*, p.68.

(26) See: Klaus Kreiser, "*Hermann Bamberger und die Turkologie*", in: Türkische Studien in Europa, p.111.

تمَّ إنشاء مركز المحاضرين عام ١٨٥٠م، لكنه ظلَّ شاغراً منذ عام ١٨٥٥م.

(27) Kreiser, "*Hermann Bamberger und die Turkologie*", p.115.

(28) Lory Alder and Richard Dalby, *The Dervish of Windsor Castle: The Life of Arminius Vambery*, London: Bachman and Turner, 1979; Kreiser, *Hermann Bamberger und die Turkologie*.

(29) Fück, *Die arabischen Studien in Europa*, p.320.

(30) Jehuda Lothar Wallach, *Anatomie einer Militärhilfe: Die preussisch-deutschen Militärmissionen in der Türkei 1835-1919*, Schriftenreihe des Instituts für Deutsche Geschichte, Universität Tel Aviv 1, Düsseldorf: Droste, 1976, p.121–35.

(31) Gregor Schöllgen, *Imperialismus und Gleichgewicht: Deutschland, England und die orientalische Frage 1871–1914*, Munich: Oldenbourg, 1984, p.38-49.

في الواقع إنَّ الاستثمار الألماني في سكك حديد بغداد استغرق وقتـاً طويـلاً ليبدأ، حيث يبـدو أنَّ المخاطـر كانت أعلى مقارنـةً مع غيره من مشـاريع السـكك الحديـد في ذلك الوقت.

(٣٢) ذُكـر هذا المـأزق في ملاحظةٍ لوزيـر الخارجية الألماني، يقـول فيهـا إنَّ ألمانيا غير مقيدة بأية مصالح سياسـية مع الشرق الأوسط، وأضاف إليها رئيس القسم الشرقي في الـوزارة، زميرمـان Zimmermann : على الرغم من أننا يجب أن نأخذ مصالحنا الاقتصادية في الحسبان.

Quoted in: Wilhelm van Kampen, "*Studien zur deutschen Türkeipolitik in der Zeit Wilhelms II.*", PhD. diss., University of Kiel, 1968, p.28.

(33) Jan Stefan Richter, *Die Orientreise Kaiser Wilhelms II. 1898: Eine Studie zur deutschen Aussenpolitik an der Wende zum 20. Jahrhundert, Studien zur Geschichtsforschung der Neuzeit 9.*, Hamburg: Kovac, 1997, p.99-105.

(34) van Kampen, "*Studien zur deutschen Türkeipolitik*", p.170.

(35) van Kampen, "*Studien zur deutschen Türkeipolitik*", p.160.

(36) Hans Barth, *Türke wehre Dich*, 2nd ed., Leipzig: Rengersche Buchhandlung,1898.

(٣٧) أقدم شكري إلى (كلاوس كريسر)؛ لإرشادي لهذا المطلب.

(38) Welt am Montag, Nov. 21, 1898, quoted in van Kampen, "*Studien zur deutschen Türkeipolitik*", p.149.

هذهِ كانت من الصدف النادرة أن يتم استخدام مفردة جنسية صريحة بالنسبة لتركيا.

(٣٩) أسَّس الجغرافي هوغو غروث Hugo Grothe اللجنة الألمانية لجنوب آسيا، لكنه لم يحصل على التمويل المالي الكافي أبداً للتوسع في نشاطات اللجنة سوى من بضعة إصداراتٍ ثانوية للجمهور الألماني.

Jürgen Kloosterhuis, *Friedliche Imperialisten: Deutsche Auslandsvereine und auswärtige Kulturpolitik 1906-1918*, Europäische Hochschulschriften, Reihe 3, Geschichte und ihre Hilfswissenschaften 588, Frankfurt: Lang, 1994, p.573-9.

انبثقت الرابطة الألمانية التركية من لجنة إنشاء جامعة ألمانية في قونية. كان رئيسها الروحي الصحفي إرنست جاك، الذي حقَّق أول نجاح له في السياسة الشرقية عندما نظَّم جولةً دراسية للسياسيين والصحفيين الأتراك عِبرَ ألمانيا في عام ١٩١١م، ومن هنا جاء لقبه Türken–Jäckh.

Damenbäder und Kanonengiessereien. Zur Osmanischen Studienreise nach Deutschland (Juni / Juli 1911, Das Osmanische Reich in seinen Archivalien und Chroniken. Nejat Göyünç zu Ehren; Beiruter Texte und Studien 65, Türkische Welten 1, Kommission, 1997, p.85-112.

حيث كانت القوائم تضم شخصيات مهمة في البنوك الألمانية.

Kloosterhuis, *Friedliche Imperialisten*, p.595–657.

كان مشروعها الأساسي مدرسة ألمانية ممولة من القطَّاع الخاص في الأناضول، لكن خطط الأنشطة الثقافية وصلت إلى أبعد من ذلك بكثير. كان أعظمها، بيت الصداقة في إسطنبول Dostluk Yurdu أو Haus der Freundschaft، الذي لم يُعرف عنه أبداً. قدمت السياسة الألمانية في تشينغداو مثالاً هاماً. وضمنت علاقات (جاك) المميزة مع السياسيين الأتراك رفيعي المستوى، التي أسَّسها بعد عام ١٩٠٨م. يُنظر:

Studien zur deutschen Türkeipolitik, p.285.

استمرار اهتمام وزارة الخارجية. وأصبح (جاك) أستاذاً للتاريخ التركي في برلين عام ١٩١٦م، مؤشر آخر على الوضع الخاص للدراسات التركية في الأوساط الأكاديمية الألمانية، وهاجر إلى الولايات المتحدة بعد عام ١٩٣٣م.

(40) Kreiser, "*Unfeierliche Beiträge*", p.89-90.

يتوضح نجاح SOS Seminary of Oriental Languages ، معهد اللغات الشرقية، من خلال حقيقة أنَّ العديد من إداريي المستعمرات الألمانية في الشرق الأدنى قد تمَّ تدريبهم في هذا المعهد.

Steinmetz, "*The Devil's Handwriting*", p.83.

(٤١) وثقت رسائل (هارتمان) إلى (إغناتس غولدزيهر) ازدراءه للإسلام كدين.

See: Ludmila Hanisch, "*Machen Sie doch unseren Islam nicht gar zu schlecht*", Der Briefwechsel der Islamwissenschaftler Ignaz Goldziher und Martin Hartmann 1894–1914, Akademie der Wissenschaften und der Literatur Mainz, Veröffentlichungen der Orientalischen Kommission 45, Wiesbaden: Harrassowitz, 2000.

(42) On Hartmann, see: Martin Kramer, "*Arabistik and Arabism: The Passions of Martin Hartmann*", Middle Eastern Studies, 25:3, 1989, p.283-300, with further literature.

كشف (هارتمان) عدم تعاطفهِ مع الإسلام السياسي فيما بعد عندما عارض بشدَّة مقترح زميله (صالح الشريف) في إنشاء معهدٍ إسلامي للتعليم العالي في ألمانيا.

Muller, Islam, *Gihad*, p.276.

(43) Kloosterhuis, *Friedliche Imperialisten*, p.571-2.

(٤٤) يُنظر: ستينمز، حول الهوية المزدوجة. والذي أشار إلى أنَّ العديد من إداريي المستعمرات الذين تمَّ تحديد هوياتهم بهذهِ الطريقة قد تلقَّوا تدريبهم في معهد اللغات الشرقية.

Steinmetz, "*The Devil's Handwriting*", p.83. For Becker's criticism of Hartmann, see: Ludmila Hanisch, "*Gelehrtenselbstverständnis, wissenschaftliche Rationalität und politische Emotionen*", Welt des Islams, 32, 1992, p.107-23, at 116; and Becker's necrology for Hartmann, in: Becker, Islamstudien, vol.2.

في عام ١٩١٢م اتُهم (كامبفمير) بتواصلهِ غير الملائم مع (شرقيين يعيشون هنا (في برلين) أو خارجها).

Gerhard Höpp, "*Orientalist mit Konsequenz: Georg Kampffmeyer und die Muslime*", in: Religionswissenschaft in Konsequenz. Beiträge im Anschluss an Impulse von Kurt Rudolph, ed. R. Flasche, F. Heinrich, and C. Koch (Hamburg: 2000), p.38.

(٤٥) درَس ساشاو البريوني واللغة السريانية. وكانت جامعة فردريك غيز Friedrich Giese في سبيل المثال مشغولةً بتسجيل الأحداث التاريخية العثمانية المبكِّرة.

(46) Peter Heine, "*Wiederentdeckte Gemeinsamkeiten*", Orientalistische Literaturzeitung, 95: 4-5, (2000): p.371-3.

(47) Höpp, *Muslime in der Mark*, p.32; Kreiser, "*Unfeierliche Beiträge*", p.88-9.

تمَّ توزيع مذكَّرات (شابنغر) في عام ١٩٦٧م، بنسخٍ محدودة خاصة، لم يتسنَ لي الوصول إليها عند إعدادي لهذهِ المقالة. أمَّا ترجمته لمقالة نظام المُلك Nizamu I–Mulk ، المشهورة حول إدارة الدولة في القرن الحادي عشر (سياست نامه) Siysatname فما تزال متوفرة.

(٤٨) ذُكر (بيكر) في كتاب: (سعيد، الاستشراق، ص٢٠٩) بإيجاز، لكن بشكلٍ يستند إلى ميولٍ أدائية عالية، والأمر نفسه يصح فيما يتعلَّق بتقييم (سعيد) لعلماء آخرين درسوا على يدِ (ووردنبيرغ)، أمثال: غولدزيهر، وسنوك هوغرونيه، وماسينون، وماكدونالد.

(49) Kramer, "*Arabistik and Arabism*", 286 ff. 50 Waardenburg, L'islam, 121 and passim.

(50) Hurgronje, Massignon, and MacDonald. 49 Kramer, "*Arabistik and Arabism*", 286 ff. 50 Waardenburg, L'islam, 121 and passim.

(٥١) أصرَّ (هانش) Hanisch في انتقادهِ لفكرة (هين) Heine حول (الدراسات الاستشراقية التطبيقية)، على أنَّ الاستشراق لا ينفصل أبداً عن الأهمية السياسية. على أية حال، من الواضح أنَّ التدخل المقصود في الحياة الواقعية يؤشر لتغييرٍ نوعي.

Hanisch, *Gelehrtenselbstverständnis*, 110 ff.

(52) Peter Heine, "*Die Deutsche Gesellschaft für Islamkunde*", in: Islamstudien ohne Ende. Festschrift für Werner Ende zum 65. Geburtstag, ed. Rainer

(56) Landau, *The Politics of Pan-Islam*, p.47; C. F. Richter, *Die Orientreise Kaiser Wilhelms II.*, p.86-92.

(57) Quoted in Stephen Casewit, "*Background to the Holy War 1914. Towards an Understanding*", Islamic Quarterly 29:4 (1985): p.220. For similar statements from Wilhelm II as early as 1896, see: van Kampen, "*Studien zur deutschen Türkeipolitik*", p.58.

(58) Heine, "*C. Snouck Hurgronje versus C. H. Becker*", p.380. On: Hartmann's change of mind after the beginning of the war, see: Kramer, "*Arabistik and Arabism*", 296 ff.

(59) Throughout, Becker employed a notion of a hierarchy of civilizations, tainted with racism. For a blatant example, see: Becker, *Islamstudien*, vol.2, p.188-9.

(60) Becker, "*Ist der Islam eine Gefahr für unsere Kolonien?*", (1909), in: Islamstudien, vol.2, 156 ff.

(61) Makdisi, "*Ottoman Orientalism*", 2 ff., following suggestions by: Deringil, Well-Protected Domains.

(٦٢) يمكننا الإشارة إلى أنَّ أيٍّ من أجزاء الإمبراطورية العثمانية كانت أقرب لوضع المستعمرة كما في طرابلس. ولتحليل الحكم العثماني في اليمن بناءً على الاعتبارات ذاتها، يُنظر:

Thomas Kühn, "*An Imperial Borderland as Colony: Knowledge Production and the Elaboration of Difference in Ottoman Yemen, 1872–94*", Electronic Journal of Middle East Studies 3 (2003): p.5-17; Selim Deringil, "*'They Live in a State of Nomadism and Savagery': The Late Ottoman Empire and the Post-Colonial Debate*", Comparative Studies in Society and History 45:2 (2003): p.311-42.

(٦٣) يُنظر: Kühn, "*An Imperial Borderland as Colony*", p.5-17.

(٦٤) يُنظر: Deringil, "*'They Live in a State of Nomadism and Savagery*", p.311-42.

(٦٥) يُنظر: Kühn, "*An Imperial Borderland as Colony*", p.5-17.

(٦٦) يُنظر: Deringil, "*'They Live in a State of Nomadism and Savagery*", p.311-42.

(٦٧) يُنظر: Kühn, "*An Imperial Borderland as Colony*", p.5-17.

(٦٨) يُنظر: Deringil, "*'They Live in a State of Nomadism and Savagery*", p.311-42.

agery': The Late Ottoman Empire and the Post-Colonial Debate", Comparative Studies in Society and History 45:2 (2003): p.311-42.

يُقال إنَّ صالح الشريف التونسي، الذي سنعود إلى ذكرهِ فيما بعد، وهو رجل دين تونسي وحليف مقرَّب لوزير الحرب التركي الشاب (أنور) منذ حملة طرابلس، هو مَن أصدر فتوى الجهاد.

Peter Heine, "*Salih as-Sarif at-Tunisi, a North African Nationalist in Berlin during the First World War*", Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée 33 (1982): p.89-95.

(٦٣) ادَّعى فريتز فيشر Fritz Fischer أنَّ مذكَّرة (اوبنهايم) قد ألهمت الخطاب الإمبراطوري سيء السمعة في دمشق.

Griff nach der Weltmacht. Die Kriegszielpolitik des kaiserlichen Deutschland 1914/18, special ed. (Düsseldorf: Droste, 1967; reprint, 1977), p.109,

لكن فان كامبين Van Kampen رفض هذا الادعاء "Studien zur deutschen Türkeipolitik" حيث أشار إلى أنها، على أية حال، أفكار متداولة في ألمانيا. ممَّا يؤسف له أنَّ (ريختر) Richter في Die Orientreise Kaiser Wilhelms II قام بتحليل رحلة فيلهيلم الثاني إلى الشرق الأوسط من منظور التأثيرات السياسية قصيرة الأمد ضمن التوازن الأوربي للقوى، فيما لم يؤخذ في الحُسبان أنَّ الإمبراطورية العثمانية لاعب سياسي بحدِّ ذاتها. لمعرفة الجوانب السياسية للزيارة، خاصةً فكرة التحالف الألماني مع الإمبراطورية العثمانية، والتي تناولتها الصحافة العربية آنذاك، يُنظر:

the contributions by: Abderrauf Sinno and Thomas Scheffler in Hélène S. Sader, Thomas Scheffler, and Angelika Neuwirth, eds., *Baalbek: Image and Monument 1898–1998*, Beiruter Texte und Studien 69 (Beirut: In: Kommission bei Franz Steiner Verlag Stuttgart, 1998).

(٦٤) توجد نماذج عن هذا الموضوع في الوثائق المنشورة في:

Hagen, *Die Türkei im Ersten Weltkrieg*, 31 ff.; van Kampen, "*Studien zur deutschen Türkeipolitik*", 74 ff.

وقد بقيت دراسة موقف الإمبراطور من الإسلام تَبَعاً لأفكارهِ الدينية، وكون هذا الموقف يمثل عاملاً يدخل في السياسات الألمانية الخارجية، مجرد رغبة ضمن الأدب الضخم الذي تناول فيلهيلم الثاني.

(65) "*Die ganze muhammedanische Welt in wildem Aufstand zu entflammen*", quoted in Müller, Islam, Gihad, 239, follow-ing Karl Kautsky.

(66) The text has been published by: Tim Epkenhans, "*Geld darf keine Rolle spielen*", parts 1 and 2, Archivum Ottomanicum 18 (2000): p.247-50; 19 (2001): p.121-63.

(٦٧) ورد في محضر المؤتمر التاسع للاتحاد العربي الأوربي الإسلامي[١٣]، المنعقد في أمستردام للفترة ١-٧/ ٩/ ١٩٧٨م، تصريحاً لوويرنر ايندي Werner Ende حول: (العراق في الحرب العالمية الأولى: الأتراك والألمان ودعوة مجتهدي الشيعة للجهاد)، تضمَّن هذا التصريح أنَّ معظم علماء الشيعة كانوا حذرين بشكلٍ كافٍ لكي لا يزجوا بأبرز رجالهم في الأمر. فيما شدَّد نصر الله صالحي.

"*Les fatwas des ulémas persans de Najaf et Kerbala*", in: La Perse et la grande guerre, ed. Oliver Bast, Bibliothèque Iranienne 52 (Tehran: Institut Français de Recherche en Iran, 2002), p.157-76.

غير مدرك لوجود المبعوثين الألمان في المدن المقدسة، على أنَّ الدعوة للجهاد لم تكن تستثني بأيِّ حالٍ من الأحوال السياسيين الشيعة المتدينين في ذلك الوقت.

(68) "*Gegen Aden wären die Leute des*

Imam Jehia und andere Stämme vo Yemen loszulassen", Oppenheim quoted in Epkenhans, "*Geld darf keine Rolle spielen*", part 2, p.135.

(69) Quoted in Epkenhans, "*Geld darf keine Rolle spielen*", part 2, p.136-7, p.34.

(٧٠) للتعرف على الأنماط العِرقية للأتراك والمسيحيين الشرقيين، في عمل الرحَّالة المعروف في عصر التنوير، كارستين نيبور، يُنظر:

Hagen, "*Unter den 'Tyrannen seiner Araber*", On the stereotypes in Karl May, see: Nina Berman, "*Orientalism, Imperialism, and Nationalism: Karl May's Orientzyklus*", in: The Imperialist Imagination: German Colonialism and Its Legacy, ed. Sara Friedrichsmeyer, Sara Lennox, and Susanne Zantop (Ann Arbor: University of Michigan Press, 1998), p.51-67.

(٧١) من ناحيةٍ أخرى قد تكون وجهات نظر (اوبنهايم) قادته إلى العمل في السلك الدبلوماسي. ومثل هذا التمايز الطبقي الذي وجده (ستيمنز) بين إداريي المستعمرات في الصين وسامو، لا تعززه المعلومات المتوافرة لديَّ.

(٧٢) يُنظر: Müller, Islam, Gihad ، حول مكتب (انفو) وشركاءه ومُساندِيه في وزارة الخارجية والإدارة العسكرية، وبصورةٍ أكثر شمولية، يُنظر: Höpp, Muslime in der Mark. فور اندلاع الحرب، رفضت وزارة الخارجية مقترحاتٍ حول الدعاية بين العرب قدَّمها اثنان من المُستشرقين، هما: اينو ليتمان Enno Litmann ويوجين ميتوج Eugen Mittwoch ، وفيما اكتسب (ميتوج) مصداقيةً فيما بعد، بوصفهِ عضواً في مكتب (انفو)، فلستُ أملك معلوماتٍ أكثر حول (ليتمان).

Sauer, "*Alois Musil's Reisen*", p.244.

(73) Höpp, Muslime in der Mark, p.22.

عمل نادولني Nadolny ، رئيس القسم السياسي في وزارة الخارجية، بشكلٍ مقرَّب مع مكتب (انفو).

Ibid., Müller, *Islam, Gihad*, passim.

(٧٤) لن يتم هنا مناقشة مسألة المدى الذي خدمت بهِ هذهِ العملية الغايات الدبلوماسية، سواءٌ بالإشارة إلى الحكومة التركية أنَّ ألمانيا كانت تعوِّل على الحرب المقدسة، أو لتعزيز دعم الوحدة الإسلامية من أجل دخول تركيا الحرب.

(75) Müller, *Islam, Gihad*, p.204.

قائمة بأسماء الرعيل الأول في الصفحة (٢٠٧). كانت السِمات البارزة في نشاطات مكتب (انفو) هي: الانقسامات الداخلية، والتمويل غير الكافي، ومقدار من انعدام المسؤولية.

(76) On Stumme, see: S. Brauner, "*Die Entwicklung der Afrikanistik an der Universität Leipzig (zum Wirken von Hans Stumme und August Klingenheben)*", Wissenschaftliche Zeitschrift der Karl-Marx-Universität Leipzig 28 (1979): p.131-44. On Jäschke, see: Klaus Kreiser, "*Gotthard Jäschke*", 160 Comparative Studies of South Asia, Africa and the Middle East, 24:2 (2004) (1894–1983): *Zur Entstehung der türkischen Zeitgeschichtsforschung*, in: Türkische Studien in Europa. A 1915 leaflet by: Tschudi is mentioned by: Höpp, Muslime in der Mark, 30. On Kampffmeyer see Höpp, Muslime in der Mark, passim, and Höpp, "*Orientalist mit Konsequenz: Georg Kampffmeyer und die Muslime*".

لم يكن مسموحاً لهارتمان الانضمام لمكتب (انفو) بشكلٍ رسمي، طالما يمكن استخدامه في المستقبل بدون أنْ يكون له ارتباط وثيق بالمكتب.

quoted in: Müller, *Islam, Gihad*, p.205.

كانـوا معظـم هـؤلاء الرجـال في أولى خطواتهـم المهنيـة وقد يكونون ببساطة يبحثون عن فرصة عمل. وهذا بالتأكيد ينطبـق عـلى جاشـك Jaschke. يتوضـح البديـل من خلال مصير كارل سوشيم Karl Sussheim، الخبير البارز في العصور الوسـطى التركية، فباستثناء المناسبات القليلـة التـي تـمَّ توظيفـه فيها بصفـة مترجـم أو عضو ارتبـاط مـع الوفود التركيـة، فقد قضى الحـرب بأكملها يعمل مراقب بريد في ميونخ. يُنظر:

Barbara Flemming and Jan Schmidt, eds., *The Diary of Karl Süssheim (1878–1947): Orientalist between Munich and Istanbul*, Verzeichnis Der Orientalischen Handschriften in Deutschland, Suppl. Bd. 32, Stuttgart: Franz Steiner, 2002.

(77) Müller, *Islam, Gihad*, p.207. For collaborators working with Muslim POWs in Camp Crescent, see: Höpp, *Muslime in der Mark*, p.71.

(٧٨) هنـا، لن يتم تنـاول الجانب العسـكري من (الحملات الألمانية)

Hans von Seeck, *quoted in Wallach*, Anatomie einer Militarhilfe, p.168.

فقـد قـدَّم مارتـن كروغـر Martin Kroger نظرةً شـاملة جيدة مع شيءٍ من الأدب.

"*Revolution als Programm. Ziele und realitat deutscher Orientpolitik im Ersten Weltkrieg*", in: Der Erste Weltkrieg: Wirkung, Wabrnebmung, Analyse, ed. Wolfgang Micgalka (Munich: Piper, 1994), p.91-366.

سـوف يكون مشروعـاً جديـراً باهتمام طلَّاب الاسـتشراق؛ لتحليـل العـشرات مـن مذكَّـرات المشـاركين في هـذهِ الحمـلات ومـا تركـوه مـن إرثٍ مـن كتبٍ مثـل كتاب بيـتر هوبكـيرك Peter Hopkirk ، المعنون بـ: (حول الخدمـة السريـة في شرق إسـطنبول: مؤامـرة الإطاحـة بالإمبراطورية البريطانية).

London: Murray, 1994.

مـع أخذهـم بنظـر الاعتبـار السـياق الاسـتشراقي في نهضة كارل مَـي Karl May. في سـبيل المثـال، يمكـن العثـور على مزيـجٍ مثير للاهتمام من الاسـتشراق الأدبي والدراسـة الأكاديمية والاخـتراق الاقتصادي في كُتيِّبٍ قـام بتوزيعهِ صانع شـاحنات النقـل H. Bussing في Braunschweig للزبائـن عـام ١٩١٤م أو بعدهـا بوقتٍ قصير، يحوي مشـاركات الأسماء المعتادة Jackh Hartmann Becker مع قصةٍ قصيرة ذات مستوى اسـتشراقي عـالٍ كتبهـا الصحفـي إيدغـار سـتيرن – روبـارث Edgar Stern–Rubarth . كان سـتيرن – روبـارث جزء مـن المجموعة التي رافقـت المجموعة الأولى مـن أسرى الحـرب إلى إسـطنبول في خريـف ١٩١٤م، ثـمَّ جـزء مـن الحملة التي اتجهـت إلى النجف للحصول على فتوى الجهاد من المجتهدين الشيعة.

Georg Krotkoff, "*Bussing, Burchard und Bagdad*", Islamstudien obne Ende, p.6-261.

(79) Hopp, Muslime in der Mark; Margot Kahleyss, *Muslim in Brandenburg – Kriegsgefangene im 1. Weltkrieg. Ansihten und Absichten*, (Berlin: Staaliche Museen Preussisscher Kulturbesitez, 1998).

(٨٠) التعليـم حسـب المفاهيم والمعتقدات الإسـلامية، على وجه التحديد، يتوافق بشـكلٍ وثيق مع هدف (السياسة المحلية)، كونه يُنتج (آخر) مستقر.

Steinmetz, "*The Devil's Handwriting*", p.47.

(٨١) كان الأسرى الذيـن يتـم إرسـالهم إلى تركيـا بالفعـل يتلقون معاملةً سيئة جداً، إلى الحدِّ الذي يستدعي تدخل الدبلوماسيين عند السلطات التركية.

Hopp, *Muslime in der Mark*, p.78-90; Kahleyss, *Muslime in Brandenburg*, p.26-30.

(٨٢) أشـار أنـدرو د. إيفانـز Andrew D. Evans إلى

العمـل في حقـل الإنثروبولوجيا، من خـلال العمل مع أسرى الحـرب، ولكن بدون التطرق إلى معسـكر الهلال تحديداً، وذلـك في مقالتـهِ: (الإنثروبولوجيا في الحرب: دراسـات عِرقيـة حـول أسرى الحـرب خـلال الحـرب العالمية الأولى).

Worldly Provincialism, *German Anthropology in the Age of Empire*, ed. H. Glenn Penny and Matti Bunzl, Social History, Popular Culture, and Politics in Germany (Ann Arbor: University of Michigan Press, 2003), p.198-229.

(83) Hopp, *Muslime in der Mark*, 56 f. On Fobenius as secrt agent, see: Peter Heine, "*Leo Fobenius als politischer Agent*", Paideuma 26 (1980): p.1-5.

(84) Kahleyss, *Muslime in Brandenburg*, p.33-41.

(85) Hopp, *Muslime in der Mark*, p.57; mentions Indolgists H. Luders and W. Schulz, Arabist Gotthold Weil, and Ottomanist Oskar Rescher.

وكان الأخـير غالبـاً مـا يعمـل بصفة مراقب على مراسـلات السجناء.

(86) Hopp, *Muslime in der Mark*, p.57-67.

تردد (كاليس) في إخراج تلك الصور من السـياق الشـخصي الذي وُضعت فيه. مع ذلك، لم يكن هذا السياق واضحاً للكثير من المتلقِّين على المسـتوى العام، وبالتالي فهو على الأغلب غير ذي صلةٍ بالنسبة للمؤرِّخين.

Kahleyss, *Muslime in Bradenburg*, p.57.

(87) Hopp, *Muslime in der Mark*, 56.

(88) Farah, *Die Deutsche Pressepolitik*, passim.

(٨٩) لم ينجح (اوبنهايم) في نشر هذا البحث في الجبهات وفي الـدول الإسـلامية؛ لأنَّ الجيش كان مهتماً جـداً بالإبقاء عليه سرياً أطول فترة ممكنة.

Hopp, *Muslime in der Mark*, p.101. See also: Peter Heine, "*AL-Gihad – Eine deutsche Propogandazeitung im 1. Weltkrieg*", Welt des Islams, 20: 3-4, (1980): p.197-9.

(٩٠) بعـض هـذهِ الأمثلـة المحفوظـة في أرشـيف وزارة الخارجية الألمانية أيضاً، تناولت المناظرات بشأن مكتب (انفو)، استخدمها (مولر) في الإسلام والجهاد.

Muller and Hopp, *Muslime in der Mark*.

يعتمـد التحليـل التـالي عـلى مجموعـةٍ تحتويهـا مكتبـة جامعة هايدلبـيرغ، تحـت عنـوان Die Turkei im Weltkriege (أصبحـت منـذ الآن فصاعـداً وثائـق استشـهادية ضمـن ملفـاتٍ تحمـل أرقـام توثيقيـة)، تمَّ تحريرهـا وترجمتهـا بشـكلٍ جزئـي في Hagen Die Turkei im Ersten Weltkrieg، وتـمَّ الحصول عـلى هذهِ المجموعة من عضوٍ سـابق في مكتـب (انفو). وبسـبب محدوديـة النـماذج يجـب أن يكون هنـاك حذر شـديد في التعامل مع البيانات الكمية حول جدوى هذهِ المناظـرات. وتتضمَّن هـذهِ المجموعة أيضـاً عيناتٍ من الدعاية المضادة، كما في الوثائق (١١-١٢).

(٩١) للاطلاع على النسـخة العربية، يُنظر: الوثائق (٤-٨)، أو:

Hagen, *Die Turkei im Ersten Weltkreig*, p.55-9.

أمَّـا للاطـلاع عـلى النسـخة الفارسـية، فيمكنـك مراجعـة Kahleyss Muslime in Brandenburg. كِلتا النسـختين تمَّـت طباعتهما من قبـل الجمعية التركية للدفـاع الوطنـي Turkish National Defence Association وإرسـالهما إلى برلين. اتضحت الصفة الرسـمية لهـذهِ الجمعيـة مـن خـلال اعـتراض سـنوك هوغرونيه على إحدى إصداراتها:

C. Snouck Hurgronje, "*Ene belangrijk document betreffende von den Heiligen Orology von den islam (1914) en eene official corrective*", Bijdragen tot de Taal-Land en Volkenkunds van Nederlandsch –Indie 73, 1917, p.255-84.

(92) Ende, "*Iraq in World War 1*"; Salehi, "*Les fatwas des ulemas persans*".

(93) Rudolph Peters, *Islam and Colonialism: The Doctrine of Jihad in Modern History*, Religion and Society 20, (The Hague: Mouton, 1979), p.94.

(٩٤) أشار William L. Cleveland، في: (دور الإسلام في الحرب العالمية الأولى.. بوصفهِ إيديولوجية سياسية)، ضمن كتاب: (السياسات الوطنية والدولية في الشرق الأوسط)، وهي مجموعة مقالات جاءت تكريماً لإيلي خضوري Elie Kedourie، حررها إدوارد انغرام:

Edward Ingram, p.84-101, London: F. Cass, 1986.

إلى أنَّ حملة الشريف حسين انبعث من إيديولوجية الوحدة الإسلامية نفسها.

(٩٥) كتب صالح الشريف، ضمن أشياءٍ عدَّة، كُتيباً دحض فيه رفض ليلويد جورج Llyod George لشرعية الخلافة العثمانية، كما ذكر (مولر) في الإسلام والجهاد، ص٣٥٨.

Farah, *Die Deutsche Pressepolitik*, p.258-9; TW8-30; Hagen, *Die Turkei im Ersten Weltkrieg*, p.105, p.214 (text in Tatar).

كانت المناظرة حول مقالة صالح الشريف (حقيقة الحرب المقدسة) يغلب عليها الطابع التشريعي. نُشر هذا الكتاب باللغات الألمانية والعربية والفرنسية والإيطالية، وقد تكون هناك لغاتٍ أخرى، أمَّا أنا فاستخدم النسخة الفرنسية.

Schaich Salih Aschscharif Attunisi, *La verite au sujet de la guerre sainte*, (Berne: Ferd. Wyss, 1916).

كما كان لهذا الكتاب دور في خلافات سنوك هوغرونيه وبيكر، سنذكرها لاحقاً.

(٩٦) حين خطَّط الجانب التركي لاستيطان متطوعين من بين السجناء المسلمين في أنطاليا، رفضت وزارة الحرب هذا العرض في الحال؛ لأنَّه لا يُعبِّر عن الجهاد.

Hopp, *Muslime in der Mark*, p.81.

(٩٧) أوضح الضابط في وزارة الخارجية، نادولني Nadolny، وإن كان بعد فوات الأوان، سبب الفشل لنفسهِ، قائلاً: "لم نكن محظوظين جداً في الدعوة للحرب المقدسة؛ لأنَّ المسلمين لم يكونوا مهتمين على الرغم من إعلانها من قبل السلطان التركي". مقتبسة في:

Kahleyss, *Muslime in Brandenburg*, p.30.

(98) Hopp, *Muslime in der Mark*,70 ff.

(99) See for instance: TW. 8.1, 8.28, 8.48; Hagen, *Die Turkei im Ersten Waltkrieg*, 51 ff., 100 f., 106 ff, 138 ff.

(١٠٠) في سبيل المثال، أظهر كرَّاس أصدره صالح الشريف صورةً قاسية لرؤوس مسلمين مغاربة، كما أظهر كُتيب عملية إعدام بعد ما يُدعى بحادثة (دنشاوي) في مصر عام ١٩٠٦م بالعربية والتركية والاردو، كما ذُكرت الحادثة في:

TW. 8.29 (b); Hagen, *Die Turkei im Ersten Weltkrieg*, p.212.

في الدنشاوي، وهي قرية صغيرة تقع عند دلتا النيل، هاجم قرويون جنوداً إنكليز أثناء حفلةٍ للرماية، ولم يُصب أيٌّ من الجنود بأذىً، لكن الجنود ردوا بطريقةٍ قمعية مهولة تضمَّنت إعدام (٤) رجال، وأحكام بالسجن والجَلد العلني. فيما بعد، عُدَّ هذا الحادث حافزاً للحركة الوطنية في مصر. وكان استخدام المزيد من هذهِ الصور واحدة من محاولات تحسين كفاءة السجين في الجهاد بوصفها أداةٍ دعائية.

Muller, *Islam, Gihad*, p.22.

لا أعلم إذا كان النقص في الصور السابقة يعود إلى أسبابٍ عملية، أو إلى منع الإسلام للصور (وهذا احتمال ضعيف).

(101) On the French, see TW 9.8; Hagen, *Die Turkei im Ersten Weltkrieg*, p.255. On the British, see: TW 8.29 (b); Hagen, *Die Turkei im Ersten Weltkrieg*, 210 ff. On the author of the latter, an In-

(112) Müller, *Islam, Gihad*, p.363.

(113) *Album de la Grand Guerre*, Edition pour l'Orient, (Berlin W.: Deutscher Uberseedienst Transocean, G.m.b.H., and Nachrichtenstelle fur den Orient). TW 13.4 – 7 has issues 17, 10,21, and 5. The design is the same as that of the brochure on Denshawai (TW 11.7) and an album of ships destroyed at the Dardanelles (TW 12.8).

(114) TW 9.1.

تمَّت تسمية المؤلِّف بالحروف العربية فقط، والذي يمكن تدوينه كـ:Paul Kreuzinger ، والذي يُشير إلى (مقَدَّم متقاعد). قد يكون Paul Creuzinger المؤلِّف لعملٍ غير مكتمل متعدِّد الأجزاء، يحمل عنوان:

Die Probleme des krieges, (vol. 1-3.1 Leipzig, 1906 -10; not available to me).

هذا الكُتيب لم يصدر عن مكتب (انفو) بشكلٍ مباشر، فقد تمَّ نشره في إسطنبول من قبل علي إحسان Ali Ihsan، الصديق المقرَّب لتوركين جاك.

(115) Farah, *Die Deutsche Presspolitik*, p.273, p.83.

(116) See: the internal discussion in: Hopp, *Muslime in der Mark*, 59f. Undoubtedly, the final result is T 8.45.; Hagen, *Die Turkei im Ersten Weltkrieg*, p.120-5.

(117) TW 8.48; Hagen, *Die Turkei im Ersten Weltkrieg*, 13 ff.

(118) TW 8.58-60; Hagen, *Die Turkei im Ersten Weltkrieg*, p.147-61.

في إيران وفي الوقت نفسهِ، استخدم الشعراء الملاحم التقليدية للاحتفاء بأبطالٍ ألمان. يُنظر: علي مير أنصاري Ali Mir–Ansari، في:

"*La grand guerre dans la poesie epique perane*", in: La perseet la grand guerre, dian – born journalist in Istanbul, see: Hopp, *Muslime in der Mark*, p.113.

(102) TW 8.62 Persian version, TW 10.12. See also: TW 8.31 AND 8.32; Hagen, *die Turkei im Ersten Weltkrieg*, p.106-13.

(103) On Morocco, see: TW 8.24. On Tripolitania, see: TW8.26; Hagen, *die Turkei im Ersten Weltkrieg*, 87 ff., 200 ff.; Muller, *Islam, Gihad*, p.356, identifies the author of the latter work as Muhammed al- Khidr.

(104) TW 8.27.

(105) TW 12.3.

منح هذا القانون مادةً خصبة للدعاية المضادة كان يصعب رفضها. وبهذهِ الطريقة، كان النص يخاطب اهتمامات الألمان أكثر ممَّا يخاطب اهتمامات المسلم.

(١٠٦) غالباً ما يُعبَّر عن الوعد بالحرية بمُصطلحاتٍ مبهمة، ومن النادر جداً أن يتم الحديث عنها بشكلٍ صريح.

See: TW 8.1, 8.31; Hagen, *die Turkei im Ersten Weltkrieg*, p.51-4, p.10-106.

(107) TW 8.32; Hagen, *die Turkei im Ersten Weltkrieg*, p.220.

(108) TW 8.33, 8.46; Hagen, *die Turkei im Ersten Weltkrieg*, 114 ff., 26 ff.; Muller, *Islam, Gihad*, p.363. Müller mentions one more issue in the Foreign Office archives.

(109) See: TW 12.6 or 12.7 leading up to 31 July 1915, (in Tatar; Ottoman version entitled *Harbin bidayetindenberi gecen muhimm vekayi-I barbiye*, n.p., n.d., in my collection).

(110) Hopp, *Muslime in der Mark*, p.103.

(111) *Harbin bidayetindenberi gecen muhimm vekayi-I barbiye*, 20, 41.

ed. Oliver Bast (Tahran: Institute Franais de Rechherches en Iran, 2002), p.237-59.

(١١٩) يُنظر: موجز سيلفستر الشهير في عام ١٩٠٥م، ناقشه (فان كامبين)، في:

Studien zur deutschen Turkeipolitik, p.66.

نموذج مشهور آخر، هو تصريح رئيس الوزراء البريطاني (غراي)، الذي تسبَّب بردٍّ فعلٍ حاد من قبل الوزير العثماني الأكبر سعيد حليم.

Said Halim, (Landau, The Politics of Pan-Islam, 28), Cf.

وأيضاً تسبَّب السفير الأميركي هنري مورغينثو Henry Morgenthau باندلاع الحرب.

Ambassador Morgethau Story, Morgenthau.

(120) C. Snouck Hurgronje, "*Deutschland und der Heilige Krieg*", Internationale Monatsschrift 9, (1915): p.290; Snouck Hugronei, *Holy War "Made in Germany"*,p.75.

(١٢١) مأخوذة من يوميات كرونبرنز روبريخت فون بايرن Kronprinz Rupperecht von Bayern، والمقتبسة في:

Muller, *Islam, Gihad*, p.274.

(122) Hopp, *Muslim in der Mark*, p.73.

(123) Müller, *Islam, Gihad*, p.225.

(124) Hopp, *Muslime in der Mark*, p.82.

يُزعم أنَّ الوكلاء من التتار على وجه التحديد كانوا الأكثر نجاحاً.

(125) Hopp, *Muslime in der Mark*, 103f.

(126) Müller, *Islam, Gihad*.

(127) See: the list of titles in: Hopp, *Muslimein der Mark*, p.29.

(١٢٨) ترك (بيكر) الأكاديمية متوجهاً نحو العمل السياسي عام ١٩١٦م، وأصبح وزيراً للثقافة في عام ١٩٢١م، ليعود وزيراً إلى الوزارة نفسها من ١٩٢٥م حتَّى عام ١٩٣٠م. لم يلتحق مطلقاً بأيِّ حزبٍ، وتوفِّي بعد مجيء (هتلر) إلى السلطة بأيام قلائل، وقد وصف هذا التطور، أي وصول هتلر إلى السلطة، بأنه نهاية ألمانيا.

finis Germania, *Waardenburg*, L'islam, 29f.

(129) Carl Heinrich Beecker, *Deutschland und der Islam*, (Stuttgart: Deutsche Verlagsanstalt, 1914); C. Snouck Hurgronje, "*Deutschland und der Heilige Krieg*", Internationale Monatsschrift 9, (1915), p.1025-34.

تمت إعادة طبع ردود (بيكر) على (سنوك) في كتاب (بيكر) Islamstudien المجلَّد الثاني. كان (بيكر) يأمل في التغاضي عن نشر الردود، لكن طالما أنَّ (سنوك) قد نشرها في مجموعة كتابتهِ، لم يكن بإمكان (بيكر) التغاضي عن ذكرها. يُنظر:

C. Snouck Hurgronje and A. J. Wensinck, *Verspreide Geschriten van C. Snouck Hurgronje, Bibilographie en Registers door Dr. A. J. Wensinck*, (Bonn and Leipzig: K. Schroder, 1923-7).

كتابات حول ألمانيا والحرب المقدسة في المجلَّد الثالث.

(130) Hanisch, "*Gelehrtenselbstverstandnis*", p.111.

كتب عن الاستياء من الموظَّفين الأكاديميين الذين تحولوا إلى بروفيسور في الأكاديمية الألمانية.

(131) Hanisch, "*Gelehrtenselbstverstandnis*", p.114.

الذي يرى أنَّ موسوعة الإسلام Encyclopedia of Islam هي تعبير عن الشعور الأوربي بالتفوق على شعوب الشرق الأوسط المعاصر.

(132) Heine, "*C. Snouck Hurgronje versus C. H. Becher*".

(133) Hanisch, *Gelehrtenselbstverstandnis*.

(134) Thomas Scheffler, "*Orientalisten und Orientkenner als Vater der deutschen Politikwissenschaft?*", in: Annabrung an das Fremde. XXVI. Deutscher Orientalistentag, ed. Holger Preissler and Heidi Stein, (Stuttgart: Franz Steiner, 1998), p.63-70. The notion of partenership had been strongly argued by: Becker.

(135) Friedrich Rosen, *Aus einem diplomatiscgen Wanderleben*, Vol. 3-4, Aus Nachlass berausgegeben und eingeleitet von Herbert Muller-WERTH (Wiesbaden: Limes Verlag, 1959), vol. 3, 50f.

(136) Said, *Orientalism*, p.15.

هوامش المترجم:

(١) İttihat ve Terakki Cemiyeti: وهي جمعية تركية أسَّسها، في السادس من شباط سنة ١٨٨٩م، مجموعة من طلَّاب كلِّية الطب، تحولت فيما بعد إلى منظَّمةٍ سياسية، ثمَّ إلى حزبٍ سياسي رسمي. لمزيدٍ من التفاصيل، يُنظر الموقع الإلكتروني:

https://tr.wikipedia.org/wiki/ittihat_ve_Terakki

(٢) Altın Boynuz: وهي شبه جزيرة في إسطنبول الأوربية، ويقع فيها مسجد السلطان أحمد وآيا صوفيا، وهي أحد أفضل الموانئ الطبيعية في العالم، وكانت مركزاً للقوات البحرية البيزنطية والعثمانية. لمزيدٍ من التفاصيل، يُنظر الموقع الإلكتروني:

https://en.wikipedia.org/wiki/Golden_Horn

(٣) أسامة مقدسي: أستاذ التاريخ، وأول عربي شغل كرسي الجمعية العربية - الأمريكية للتعليم في جامعة رايس William Marsh Rice University.

(٤) هي جمعية ألمانية تُعنى بدراسة الشرق لغةً وثقافةً، أسَّسها هاينريش ليبرخت فليتشر مع مجموعةٍ من العلماء الألمان إضافةً إلى مجموعة من أعضاء جمعياتٍ استشراقية أخرى، مثل الجمعية الآسيوية في باريس Societe Asiatique، والجمعية الملكية الآسيوية في لندن Royal Asiatic Society. لمزيدٍ من التفاصيل، يُنظر الموقع الإلكتروني:

https://de.wikipedia.org/wiki/Deutsche_Morgenländische_Gesellschaft

(٥) هو مفهوم لنموذج تعليمي عالي المستوى، ظهر في القرن الثامن عشر، والذي تتمحور فكرته الأساسية حول الجمع بين البحث والدراسة. لمزيدٍ من التفاصيل، يُنظر الموقع الإلكتروني:

https://en.wikipedia.org/wiki/Humboldtian_science

(٦) مُصطلح يُشير إلى التقاليد الألمانية المتعلِّقة بالتثقيف

الـذاتي، حيـث ترتبط الفلسـفة بالتعليـم. لمزيدٍ من التفاصيل، يُنظر الموقع الإلكتروني:

https://en.wikipedia.org/wiki/Bildung

(٧) House of Habsburg: ويُشـار إليهـم باسـم (آل النمسـا)، كانـوا أحـد أهـمِّ العائـلات المالكـة في أوروبا، وتشـتهر كونها مصـدر الأباطرة المنتخبـين رسـمياً لحكـم الإمبراطوريـة الرومانيـة والإمبراطورية النمساوية والإسبانية، والعديد من البلدان الأخرى. لمزيدٍ مـن التفاصيل، يُنظر الموقع الإلكتروني:

https://en.wikipedia.org/wiki/House_of_Habsburg

(٨) Hellenistic period: وهـي فـترة متأخـرة مـن الحضـارة الإغريقيـة التـي ازدهـرت في الفترة المُسمَّاة بالعصر الكلاسيكي، وتمتد منذ أوائل القرن الرابع قبل الميلاد وحتَّى موت الإسـكندر المقدوني في ٣٢٣ق.م. لمزيـدٍ مـن التفاصيـل، يُنظـر الموقـع الإلكتروني:

https://en.wikipedia.org/wiki/Hellenistic_period

(٩) هـو رحَّالـة وعـالم آثـار ودبلومـاسي ألمـاني. عاش خـلال الفترة (١٨٦٠-١٩٤٦م). كان الفرنسـيين والبريطانيين يعتبرونه جاسوسـاً، حيث أنَّه بالفعل كان يقـوم بأعـمالٍ دعائيـة معادية للحلفـاء، تهدف إلى إثـارة الشـعوب المسـلمة ضـدَّ مسـتعمريهم في المقاطعات التي يسـيطرون عليها الحلفاء. لمزيدٍ من التفاصيل، يُنظر الموقع الإلكتروني:

https://en.wikipedia.org/wiki/Max_von_Oppenheim

(١٠) أنـور باشـا (١٨٨١-١٩٢٢م): أحد قادة حركة تركيـا الفتاة. شـارك في الثـورة ضدَّ السـلطان عبد الحميـد الثـاني، وشـارك في حـرب طرابلـس ضدَّ الإيطاليين، ثمَّ سـافر إلى اسـطنبول ليصبـح وزيراً للحربيـة في الدولـة العثمانية. لمزيدٍ مـن التفاصيل، يُنظر الموقع الإلكتروني:

https://en.wikipedia.org/wiki/Enver_Pasha

(١١) التشـكيلات الخاصة: هي وحدة القوات الخاصة للإمبراطوريـة العثمانية، تابعة لوزارة الحرب، زُعِمَ أنَّها كانت تُستخدم لقمع الدعوة إلى انفصال العرب عـن الإمبراطوريـة العثمانية، وقد لَعِـب الكثير من أعضاءهـا دوراً قياديـاً في الحـرب العالميـة الأولى. لمزيدٍ من التفاصيل، يُنظر الموقع الإلكتروني:

https://tr.wikipedia.org/wiki/Teşkîlât-ı Mahsûsa

(١٢) شبنامه: وتعني بالفارسـية: (رسالة الليل)، وهو كُتيـب يحتوي على تحذيـراتٍ وتوجيهـاتٍ كان يتم توزيعهـا خلسـة. كانـت هـذهِ الكُتيبـات موجودةً عِـبرَ التاريخ الإيـراني، ففي أوائل القـرن العشرين تـمَّ توزيعها في طهران للتنديـد بالاحتلال الروسي لأجزاء من الأراضي الإيرانية. لمزيدٍ من التفاصيل، يُنظر الموقع الإلكتروني:

https://en.wikipedia.org/wiki/Shabnameh

(١٣) الاتحاد الأوربي العربي الإسلامي: أسَّسه علماء أوربيون يعملـون في مجـال الدراسـات العربيـة الإسـلامية عـام ١٩٦٢م، أصبحـت فيما بعـد من الشـبكات الأكاديمية البـارزة في الدراسـات العربية والإسـلامية عِبرَ أوروبا. وتضـم حاليـاً أكثر مـن (٢٠٠) عضـواً يمثلـون معظم الدول الأوربية.

Dr. Freiherr Max von Oppenheim mit Ibrahim Pasha 1899

Konsularakademie, Artist Postcard Pendl, Erwin, Wien 9. Alsergrund Österreich, Konsular Akademie, Oberbaurat L. Baumann

Kronprinz Saud wird von Snouck Hurgronje (rechts) in der Universität Leiden empfangen (1936) – ganz rechts auf dem Bild A. J. Wensinck

Max von Oppenheim (1860-1946)

Sitz der Nachrichtenstelle für den Orient, Berlin, Mauerstraße 45-46

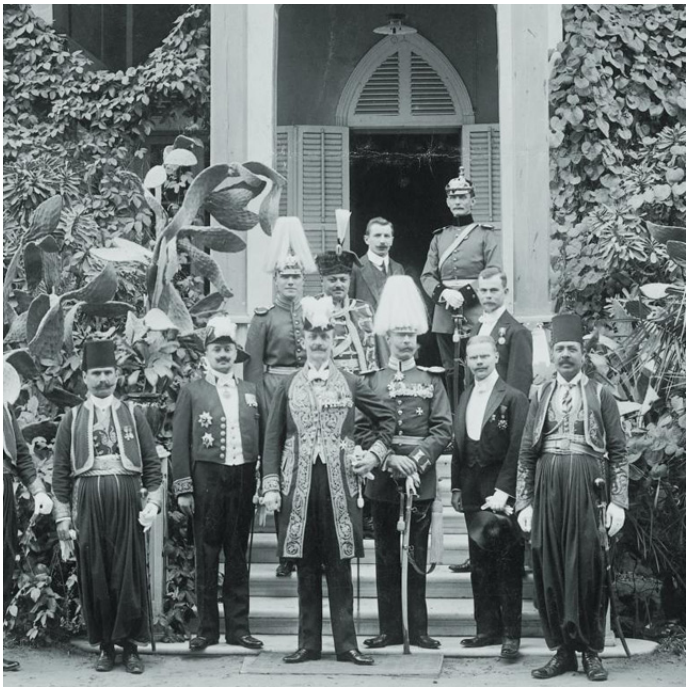

ماكس أوبنهايم (الثاني إلى اليسار) إلى جانب الإمبراطور فيلهيلم الثاني